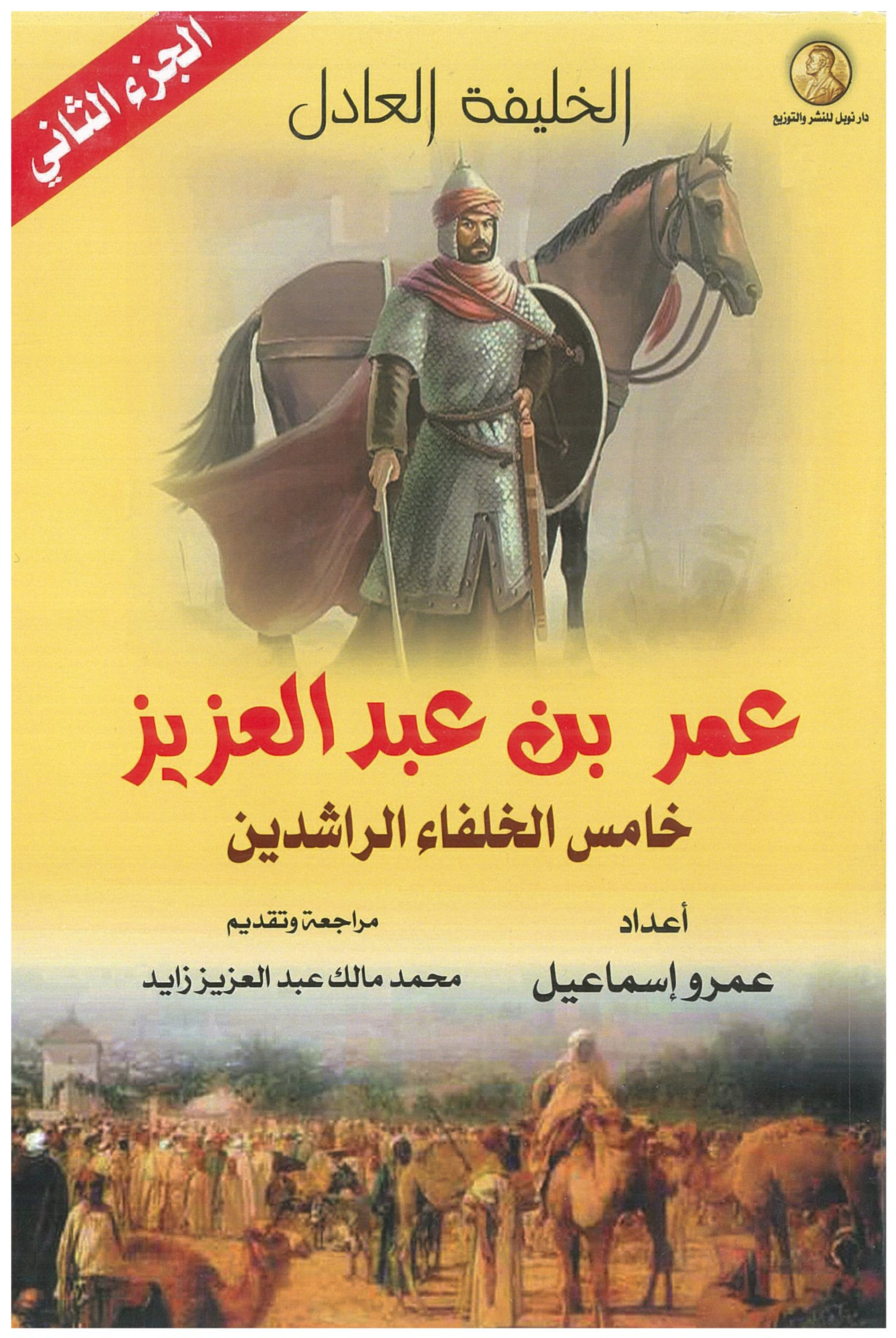


دار نوبل للنشر والتوزيع
الجزء الثاني
الخليفة العادل
عمر بن عبد العزيز
خامس الخلفاء الراشدين
أعداد
عمرو إسماعيل
مراجعة وتقديم
محمد مالك عبد العزيز زايد



الخليفة العادل

عمر بن عبد العزيز

خامس الخلفاء الراشدين

(الجزء الثاني)

إعداد
أ/عمرو إسماعيل

مراجعة
أ/محمد مالك عبد العزيز زايد

دار نوبل
للنشر والتوزيع

الكتاب : الخليفة العادل .. عمر بن عبد العزيز (الجزء الثاني)
المؤلف : عمرو إسماعيل
مراجعة : أ/محمد مالك عبد العزيز زايد



الناشر : دار نوبل للنشر والتوزيع
٤ شارع سيد الخطيب - الثلاثيني
العمرانية الغربية - الجيزة.
ت : ٠١٢٢٠٣٢٠٩٠٥ - ٠١١٥٩٦٠٥٠٧١
Email: Darnobel@yahoo.com
الطبعة : ٢٠١٨
رقم الإيداع: ١٤٤٥٦ / ٢٠١٨م
الترقيم الدولي : ٦-٧١- ٥٦٤٨-٩٧٧-٩٧٨
- تصميم الغلاف: أمير عكاشة

الهيئة العامة للكتاب
الفهرسة أثناء النشر

إسماعيل، عمرو
الخليفة العادل .. عمرو بن عبد العزيز، عمرو إسماعيل، الجيزة، دار نوبل للنشر والتوزيع، ٢٠١٨
العنوان : ١٨٢ ص ، ٢٤ سم
تدمك : ٦-٧١-٥٦٤٨-٩٧٧-٩٧٨
١- دراسات
٢- العنوان
ديوي ٩٢٠

الخليفة العادل

عمر بن عبد العزيز

خامس الخلفاء الراشدين

إهداء

إلي روح أمي العظيمة ودعائي لأبي وأخوتي وزوجتي وأبنائي
أن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله
إلي كل الحكام والمحكومين والخاصة من المسلمين
أهدي هذا الكتاب

المؤلف

عـن أبي هريـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال النـبي ﷺ : "سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُـمْ اللهُ تَعَـالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ إمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" .

حديث قدسي

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾

سورة يوسف: آية ١١١

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

أما بعد

سأل الإسكندر حكيماً: من يصلح للملك؟ فقال له.. إما ملك حكيم أو ملك ملتمس للحكمة.. والحكمة في هذا المقام معناها الفلسفة.. وقد قرن هذا الحكيم السياسة بالفلسفة واعتبرها أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل العدل.. واشترط على الحاكم أن يكون فيلسوفاً أو ملتمساً للفلسفة ليعم الأمن وينتشر السلام وتستقيم الأمور وتصلح الأحوال .

رحلة قصيرة نقطعها مع هذا الخليفة العادل الزاهد، الذي ملأت أخباره الكتب، لعدله وخشيته وجلال أدبه وخلقه ورأفته بأمته! مع علم وذكاء، وزهد وقنوت، وفهم وسياسة وحنكة معها حكمة..

جاء الخليفة العادل رضي الله عنه في ظل ظروف سياسية وإقتصادية سيئة وفتن تضرب ربوع البلاد، ولم يكن لدى عمر بن عبدالعزيز عصا سحرية، وزعت الرخاء على الأمة، ولكنه استنهض الهمم بالأفعال قبل الأقوال، ولم يقف على متخاذل كسول ولا انصاع إلى رغبة طامع جهول، فنهضت الأمة بأسرها تسعى إلى رقيها، بصغيرها وكبيرها، برجالها ونسائها فكانت صحوة تسعى بكتلتها وبكامل حجمها حتى وصلت الأمة إلى الاستقرار والأمان .

خلال عامين وخمسة أشهر وأربعة أيام تقريباً استطاع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يسطِّر معجزة تربوية في تاريخ الإسلام؛ ففي هذه الفترة الوجيزة استطاع هذا الخليفة العادل أن يضع الأسس والأهداف لتربية المجتمع المسلم وفق المنهج النبوي الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، والذي يحرم فيه الغش، والكذب، والرشوة، والفساد على الرعية .

ذلك المنهج الذي يعتمد على اقتران العلم بالعمل، والمعرفة بالتطبيق والإطلاع الذاتي على سير من سبقنا من السلف الصالح؛ بغية التأسي بهم والتزام فهمهم – في سلوكه القيادي والإداري والتربوي .

لقد بوَّأ الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مكانة سامقة في التاريخ الإنساني لم ينلها إلا الأفذاذ من القادة والفاتحين، والجهابذة من أئمة العلم، والعباقرة من الكتاب والشعراء. ويزداد عجبك حين تعلم أنه احتلّ هذه المكانة بسنتين وبضعة أشهر قضاها خليفة للمسلمين، في حين قضى غيره من الخلفاء والزعماء عشرات السنين دون أن يلتفت إليهم التاريخ؛ لأن سنوات حكمهم كانت فراغًا في تاريخ أمتهم، فلم يستشعر الناس تحولا في حياتهم، ولا نهوضًا في دولتهم، ولا تحسنا في معيشتهم، ولا إحساسًا بالأمن والإستقرار يعمّ بلادهم.

ولم تمنعه السياسة من تبوأ مقعده بين العلماء والحكماء، فقد زاحمهم واتفقت كلمة المترجمين لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على أنه من أئمة زمانه.

إن أهمية دراسة سير الرجال وذكر الصالحين وتشنيف الأذان بسماع أخبارهم، مما يثلج صدور المؤمنين وينزل السكينة في قلوب الموحدين، فهم القدوة والمثل، والنموذج الأسمى في تطبيق أخلاق الإسلام ومبادئه .

وقد كان القرآن الكريم يقصُّ علينا من أخبار الأنبياء عليهم السلام، فنحسُّ بالقمم الإنسانية الشامخة ترنو إلينا، فتستنهض هممنا، ويقص علينا أخبار الصالحين من غير الأنبياء، الذين كان لهم الدور الكبير في نشر كلمة لا إله إلا الله، وإعلائها، وتَحَمُّلِ الأذى، والصبر عليه .

قال الإمام ابن الجوزي: "واعلم أن في ذكر السير والتاريخ فوائد كثيرة، من أهمها أن يطلع بذلك على عجائب الأمور، وتقلبات الزمن، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار، فالنفس تجد راحةً بسماع الأخبار"، فقراءة التاريخ، وسماع قصص الأخيار يحفز الهمم وينهض بالأمم.

يقول د. محمد موسى الشريف: " من المعلوم أنَّ التاريخ هو تراث الأمة وكنزها، وهو مقياس عظمتها في بابي الحضارة والثقافة، وهو ديوانها الذي تحتفظ فيه بذاكرتها، وهو مغترف العبر والعظات لأحداثها، وهو بيانٌ لسيرة عظمائها، وهو ماضيها الذي تستند إليه لحاضر أفضل ومستقبل أجلّ، وهو دراسة أحوال الماضين من الأمم والشعوب الأخرى، وهو وعاء الخبرة البشرية" .

ولله در القائل:

استرشد الغرب بالماضي فأرشده ... ونحن كان لنا ماض نسيناه

إنّا مشينا وراء الغرب نقتبس من ... ضيائه فأصابتنا شظاياه

كان منهجي في هذا الكتاب يسير على نهج من سبق، تحدثت عن نشأته وطلبه للعلم ومكانته العلمية وولايته وبيعته للخلافة وكيفية إدارته للبلاد وعمله بمبدأ الشورى وعدله ورده للمظالم وعزل الولاة الظالمين ورفع المظالم عن الرعية وأهل الذمة ومنهجة في نشر العلم وتدوين السنة وكذا منهجه في الإصلاح الإقتصادي والتنمية وذكرت

أخلاقه ومواقفه مع بعض الفرق والجماعات ووصاياه الحكيمة لعماله ولولي عهده وأهل بيته ووفاته وبعض مآثره وماذا قالوا عنه ثم كانت الخاتمة رضي الله عن أبي حفص عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل حامل لواء الحق والدين خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

المؤلف

الفصل الأول

منهج عمر بن عبدالعزيز في التنمية الاقتصادية

التنمية الاقتصادية في الإسلام لها هدف أساسي، وهو تحقيق التوازن بين مصلحة الجماعة والفرد، بقصد تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخر، وتمكينه من أداء الهدف الذي خلق من أجله، قال تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، ولذا يجب أن تكون الوسائل الموصلة لذلك نبيلة، ولقد فشلت نماذج التنمية الشرقية والغربية، لأنها افتقدت الهدف، وجعلت الوسائل أهدافا في حد ذاتها، وإن حققت وفراً مالياً إلا أنها استعبدت الإنسان بدلاً من أن تحقق له السعادة والرفاه .

تمثل السياسة المالية أحد أهم الركائز التي تتحقق بها التنمية الاقتصادية، إذ تعتبر إحدى الوسائل المهمة لمحاربة مظاهر الفقر والتخلف، وتسعى نحو التقدم في شتى مجالات الحياة، وجدارا صلبا لمواجهة المشكلات الاقتصادية، من خلال محاربة التضخم وتحقيق الاستقرار الاقتصادي بشكل عام، والاستقرار المالي بشكل خاص، بالإضافة إلى السعي لتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي، بمحاربة مظاهر الفقر والبطالة، وتحقيق العدالة في توزيع الدخول، والإقلال من الفجوات ما بين الفئات المختلفة للمجتمع، ناهيك عن الجانب البيئي الذي هو أساس الحياة البشرية .

وإذا ما استعرضنا الأفعال أو الأعمال التي قام بها عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في التنمية الاقتصادية، نجد أن نهجه كان في ذلك كالآتي:

أولا: الجد والمثابرة والابتكار الإداري في رسم السياسة الاقتصادية ومتابعة تنفيذها:

قام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بالكثير من الابتكارات في مشروع الإصلاحات الاقتصادية لأن إدارة الأموال لها جانب مهم في تحقيق التنمية الاقتصادية ومنها:

أ – تنمية القيادات الإدارية، لأنهم العنصر الفعال في عجلة التنمية، ومراحل التطوير، وتنميتهم ضرورة ملحة لضمان نجاح العمل، ورفع كفاءته الإنتاجية، وكان حرص عمر واضحاً من كتبه الموجهة للولاة، ومنها ما كتبه إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن، واليه على الكوفة فقال: سلام عليك أما بعد: إن أقوم الدين العدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها الطاعة لله عز وجل، فإنه لا قليل من الإثم، وأمرتك ألا تطرق عليهم أرضهم وألا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق ولا من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، أي لا تحمل عناصر التنمية فوق ما استحق على عامرها المنتج، لأن ما زاد على طاقتهم سيكون سبباً إلى ترك مجالات التنمية، وترك الأرض، وفي ذلك تنمية للقيادات في أدائها الوظيفي، الداعم للتنمية إذا كان الأداء على نهج صحيح .

ب – التقسيم الإداري للأموال حسب الموارد، بنظام محاسبي يسهل عملية ضبط المقبوضات والنفقات، فجعل كل مورد مستقلاً عن الآخر، قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: دخلت على عمر بن عبدالعزيز وقد استخلف، فوجدته قد جعل بيت مال الغنائم على حدة، وبيت مال الخراج على حدة، وبيت مال الخمس على حدة"، وهذا

التقسيم تعمل به النظم المحاسبية في الصندوق، فدفتر الصندوق ينقسم إلى عدة خانات كل خانة تشير إلى مورد من موارد الصندوق أو النفقات، وبذلك يسهل تنظيم حركة المقبوضات والمصروفات وتوثيقها .

ج- تنظيم الخطط المالية السنوية، وبيان الموقف المالي لكل عام (الموازنة العامة) .

من خلال النظر في مراسلات عمر لولاته نجده أشار إلى التخطيط المالي، والمتابعة الحقيقية لحركة الأموال في الدولة، وإقرار ما كان منها منسجماً مع أهداف التنمية، وإلغاء ما كان غير ذلك، ومنها كتابه إلى عدي بن أرطاة "أن ابعث إليّ بتفصيل الأموال التي قبلك، من أين دخلت، فكتب إليه بذلك وصنفه له، فكان فيما كتب إليه من عشر الخمر أربعة آلاف درهم قال فلبثنا ما شاء الله ثم جاء جواب كتابة إنك كتبت إلي تذكر من عشور الخمر أربعة آلاف درهم وإن الخمر لا يعشرها مسلم ولا يشتريها ولا يبيعها، فإذا أتاك كتابي هذا فاطلب الرجل، فارددها عليه فهو أولى بما كان فيها، فطلب الرجل فردت عليه الأربعة الآلاف وقال: أستغفر الله إني لم أعلم" .

وتظهر متابعاته للموقف المالي، وإدارة محاسبة الموازنة للولايات، مما كتبه وهب بن منبه إلى عمر بن عبدالعزيز فقال: إني فقدت من بيت مال المسلمين دينارا فكتب رضي الله عنه ردا إليه: " إني لا أتهم دينك وأمانتك، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك، وأنا حجيج المسلمين في أموالهم، والسلام"، مع وجود الأمانة أيضا لا بد من وجود الحرص والمتابعة وعد التفريط وتضييع الأموال العامة والواجب مع الأمانة حفظها .

د- تفعيل المكتسبات الثابتة في دفع ودعم عجلة الاقتصاد، وفتح آفاق جديدة لدعم واردات الخزينة، وقد خاطب رضي الله عنه عماله بالاهتمام بهذه المجالات، فالأرض مكتسب ثابت وفعال في مشروعات التنمية، فكتب عبدالحميد بن عبدالرحمن إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إن شاء سألوا أن يوضع عليهم الصدقة ويرفع

عنهم الخراج فكتب إليه عمر إني لا أعلم شيئا أثبت لمادة الإسلام من هذه الأرض التي جعلها الله تعالى فيئاً لهم، فاسألهم فمن كان له في الأرض أهل ومسكن فأجر على كل جدول منها ما يجري على أرض الخراج، ومن لم يكن له بها أهل ولا مسكن، فارددها إلى البنك من أهلها، قال حصين: " وأصل هذا أنه من كانت في يده أرض، فرضي بأن يؤدي عنها الخراج، وإلا فليردها فيمن يؤدي عنها الخراج من أهلها"، إشارة إلى متابعة الاستثمار في الأرض الخراجية، وأن تعطيلها يؤثر على التنمية الاقتصادية، كونها مشروع تنمية ثابت العطاء، وذكر عبدالرزاق عن معمر عن سماك ابن الفضل، قال: "كتب عمر أن يؤخذ مما أنبتت الأرض من قليل أو كثير العشر" .

ومن هذه المكتسبات الثابتة حرمة كنز الذهب، أو استعماله في غير مجاله التنموي لأنه عنصر رئيسي في حركة الاقتصاد، والاستفادة من تحريم الشريعة الإسلامية في استعماله غير الشرعي، قال الفقهاء: "يحرم تحلية المسجد بذهب أو فضة لأنه سرف وتجب إزالته كسائر المنكرات وتجب زكاته إلا إذا استهلك فلم يجتمع منه شيء، فلا تجب إزالته لعدم الفائدة فيها ولا زكاته لأن ماليته ذهبت"، ولما ولي عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه الخلافة أراد جمع ما في مسجد دمشق مما موه به من الذهب، فقيل له إنه لا يجتمع منه شيء فتركه"، وفي ذلك إصرار واضح منه رضي الله عنه على مشاركة الذهب في حركة الاقتصاد .

ثانيا: توسيع دائرة واردات صندوق الزكاة وعدم قصرها على المنتجات الرئيسية :

تتفاوت الولايات الإسلامية في الاشتهار بمنتج دون الآخر، فقال: بالزكاة على هذه المنتجات، واشتهر عمر في تفعيل الزكاة في هذا الجانب، وقد تفرد في بعضها عن غيره من الخلفاء والفقهاء، ولما انتهت الضائقة بالأمة الإسلامية أوقف بعضها، جاء

كتاب من عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بن محمد بن عمرو وكان قاضي المدينة وهو بمنى أن لا يؤخذ من العسل ولا من الخيل صدقة ومنها:

١- فرض زكاة العسل، فكتب إلى عماله على مكة والطائف "أن في الخلايا صدقة فخذوها منها، قال أبو عبيد حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري قال: في كل عشرة زقاق زق، قال الحنابلة: "في العسل العشر ونصابه مائة وستون رطلا عراقية".

٢- فرض زكاة العنبر، قال إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عروة بن محمد أن سل من قبلك كيف كان أوائل الناس يأخذون من العنبر فكتب إليه أنه قد ثبت عندي أنه كان ينزل منزلة الغنيمة يؤخذ منه الخمس فكتب إليه عمر أن خذ منه الخمس وادفع ما فضل منه بعد الخمس إلى من وجده، وبه قال الحسن البصري .

قال ابن قدامة: يحكى عن عمر بن عبدالعزيز أنه أخذ من العنبر الخمس وهو قول الحسن والزهري، خلافاً لابن عباس قال: ليس في العنبر شيء إنما هو شيء ألقاه، فلم يأت فيه سنة عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه من وجه يصح ولأن الأصل عدم الوجوب فيه ولا يصح قياسه على معدن البر لأن العنبر إنما يلقيه البحر فيوجد ملقى في البر على الأرض من غير تعب فأشبه المباحات المأخوذة من البر كالمن والزنجبيل وغيرهما .

قال الشافعي: "لا زكاة في عنبر ولا لؤلؤ أخذ من البحر"، وبه قال مالك .

قال أبو يوسف: طفيهما وفي كل حلية تخرج من البحر خمس، لأن عمر رضي الله عنه أخذ الخمس من العنبر" .

٣- فرض زكاة السمك، قال ابن قدامة: وأما السمك فلا شيء فيه بحال في قول أهل العلم كافة، إلا شيء يروى عن عمر بن عبدالعزيز، رواه أبو عبيد عنه وقال: ليس الناس على هذا ولا نعلم أحداً يعمل به وقد روي ذلك عن أحمد أيضا، والصحيح أن هذا لا شيء فيه، لأنه صيد فلم يجب فيه زكاة، كصيد البر ولأنه لا نص ولا إجماع على الوجوب فيه، ولا يصح قياسه على ما فيه الزكاة فلا وجه لإيجابها فيه .

قال الأحناف: "ليس في السمك واللؤلؤ والعنبر يستخرج من البحر شيء، في قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى"، وقال أبو يوسف: "في العنبر الخمس وكذلك في اللؤلؤ".

قال مالك: "ليس في اللؤلؤ ولا في المسك ولا العنبر زكاة" .

ثالثا: تفعيل النظام الضريبي، والمناسب لجميع عناصر التنمية:

تقدم الدولة الخدمات العامة، وهذه إذا بقيت في دائرة الاستهلاك فإنها تشكل عبئاً على رأس مال الدولة العام، ولكن في توزيعها على عناصر الإنتاج المستفيدة من هذه الخدمات، يحقق هدف التنمية، ويوازن بين الخدمة العامة الاستهلاكية إلى خدمة استهلاكية إنتاجية، وكما يمنع التجاوزات التي يمكن أن تؤثر على مفعلات الاقتصاد الوطني، ومنها ما كتبه ميمون إلى عمر بن عبدالعزيز في مسلم زارع ذميا فكتب إليه عمر " أن خذ من المسلم ما عليه من الحق في نصيبه، وخذ من النصراني ما عليه" .

وفي بعض المراسلات حدد نسبة الضريبة ومعادلة حسابها، فكتب إلى عماله "أن يأخذوا مما يمر به المسلم من التجارات من كل عشرين ديناراً نصف دينار ومما يمر به الذمي يؤخذ منه من كل عشرين دينار، ديناراً ثم لا يؤخذ منه إلا بعد حول" .

كما كتب إلى رزيق بن حكيم "أن انظر من مرّ بك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم من التجارات من كل أربعين ديناراً، ديناراً فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرين ديناراً فإن نقصت ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئا، واكتب لهم بما تأخذ منهم كتاباً إلى مثله من الحول" .

فصلت المراسلات السابقة بين عمر وولاته كل ما يتعلق بالضريبة، من حيث من يخضع لها، وما مقدارها، والكيفية التي تؤخذ بها، وأن يعطى دافعها وصلاً مالياً لكل عام، حتى تبقى التعليمات واضحة لا غموض فيها.

رابعا: بناء المشروعات التنموية المستمرة بالعطاء

وتسهيل مهمة المستثمرين وتقديم القروض لهم، لضمان استمرار هذه المشروعات، وقد أمر عماله بذلك، عندما بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إلى عبدالحميد واليه على العراق "أن أنظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين".

تشير تعليمات الخليفة العادل رضي الله عنه هدف التنمية المستمر، ومن ضعف ماليا عن تنمية أرضه فكلف الولاة بإعطاء القروض التي ترفع من سوية الإنتاج عند أفراد المجتمع .

وكذلك قام بالاهتمام بالمرافق العامة والخاصة التي تخدم وتدعم مشروعات الإصلاح، وتوسيع الرقعة الزراعية، ووضع بعض التعليمات التي تخدم ذلك، فقد كتب رضي الله عنه إلى عدي أن احفر، وابن السبيل أول ريان، وأن حريمها طول رشائها، ولما ولى عدي أرمينية احتفر نهراً يقال له اليوم نهر عدي .

استطاع الخليفة العادل رصي الله عنه أن يجمع شعث هذه الأمة وينهض بها من عثراتها ويقضي على الفتن التي أصابتها، وحقق نتائج أهمها:

١- ترسخت عوامل الثقة في الإصلاح الاقتصادي على مستوى الراعي والرعية، قال عمر بن أسيد: والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح، فيرجع بماله كله فلا يجد أين يضعه، قد أغنى عمر الناس .

٢- القضاء على جيوب الفقر والحاجة حتى قنع الناس، كان الرجل يخرج زكاة ماله، لا يجد أحدا يقبلها .

٣- حل مشكلة العجز المالي والمديونية التي كانت تعاني منها الدولة، في عهد عبدالملك بن مروان، وكانت تؤدي الجزية إلى ملك الروم، وقد اضطر عبدالملك إلى مصالحته على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته لعجز الدولة عن المواجهة .

٤- حقق الرفاه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، حتى فاض المال عن الحاجات الخاصة والعامة، ويظهر ذلك من كتاب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن وهو بالعراق، قال: أخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه عبدالحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، قال فكتب إليه: أن انظر كل من استدان من غير سفه ولا سرف فاقض عنه دينه، فكتب إليه: إني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أن انظر كل بكر ليس له مال، يشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا، أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين، تصور المراسلات السابقة حجم الوفر المالي، والرفاه الاجتماعي الذي تجاوز

الوصف، ومتابعة مشروعات التنمية والاستثمار وإزالة العوائق إذا اعترضتها وما إلى ذلك .

٥- عالج مديونية الأفراد والأحوال الاجتماعية للمجتمع، من الوفر المالي في الموازنة، ورتب دائرة خاصة لمتابعة هذه القضايا على المستوى المحلي لكل ولاية كدائرة ثابتة للمبالغة في الاستقرار الاجتماعي، "فكان لعمر بن عبدالعزيز مناد ينادي كل يوم أين الغارمون أين الناكحون أين المساكين أين اليتامى" .

٦- جعل دائرة متجولة تتفقد أحوال المجتمع على مستوى الولايات، لعله يجد من هو بحاجة إلى العون، ومنها قال عبدة بن أبي لبابة إن عمر "بعث معه بخمسين ومائة يفرقها في فقراء الأمصار فأتيت الماجشون فسألته فقال: ما أعلم أن فيهم اليوم محتاجاً لقد أغناهم عمر بن عبدالعزيز، عدالة اجتماعية منقطعة النظير، إن لم يصلوا إلى حقوقهم المالية، فالدولة حملت إليهم في مدنهم وقراهم هذه الحقوق .

٧- نجح في تعزيز الالتزام الطوعي لقوانين الدولة، قال مالك بلغني "أن عاملا لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه يذكر أن رجلا منع زكاة ماله، فكتب إليه عمر أن دعه ولا تأخذ منه زكاة مع المسلمين، قال فبلغ ذلك الرجل فاشتد عليه وأدى بعد ذلك زكاة ماله، فكتب عامل عمر إليه يذكر له ذلك، فكتب إليه عمر أن خذها منه، وأوصى عماله بذلك على المناطق الحدودية، وأن يبنوا عوامل الثقة بينهم وبين التجار تعزيزا للدافع الذاتي في الالتزام بأنظمة الدولة، فكتب إلى رزيق: أن انظر من مر بك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم مما يديرون من التجارات .

٨- ارتفاع مستوى الدخل للأفراد، بحيث أصبح من يملك بعض الرفاهيات، قد يكون ممن يستحق الزكاة، قال أشهب " وبلغني عن عمر بن عبدالعزيز قال: فيمن له الدار والخادم والفرس أن يعطي من الزكاة " .

٩- أوقف في العام الثاني من خلافته بعض الإجراءات التي اتخذها للتصحيح الاقتصادي، في عامه الأول، ومنها استفاد من نقل الزكاة إلى الولايات المحتاجة، لحل بعض القضايا المتعلقة بالمشكلة الاقتصادية في عامه الأول وأوقفها في العام الثاني، قال مالك، كتب عمر بن عبدالعزيز إلى مصدق له، اقسم نصفها، قال أشهب: تأولنا فعل عمر أنه لم يكن بهم من الحاجة أول عام كحاجتهم في الثاني.

١٠- يمكن اتباع المنهج الذي اتبعه عمر بن عبدالعزيز في الإصلاح الاقتصادي في عهده رضي الله عنه في وقتنا المعاصر، بل سيحقق رفاه اجتماعياً أكثر، ووفراً مالياً متقدماً، لأن العصر الحديث يتميز بكثرة عناصر الإنتاج وتنوعها، والاستفادة من التقدم العلمي المعاصر في تطوير النهج الذي اتبعه عمر، فنقول الظروف المعاصرة ربما تكون مواتية أكثر إذا ما كان هناك من ينهض بهذا المنهج كعمر وكرجال عمر .

ولا تزال خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حجة تاريخية، على كل أولئك الذين يشككون في إمكانية إقامة نظام اقتصادي إسلامي كامل، وبرهاناً ساطعاً على أن الاحتكام للشريعة الربانية هو وحده الذي يكفل للناس السعادتين في الدنيا والآخرة .

وبعد ما سردناه نقلا من كتب السير والتاريخ كيف واجه الخليفة العادل المشكلات الاقتصادية التي عصفت بالبلاد قبل مجيئه وكيف قضى عليها وهو لم يلبث في الحكم غير بضع سنين (سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر)، فكيف بحالنا نحتاج إلى خطط طويلة وقصيرة ونستورد شركات لكي تخطط لنا، والبطالة كالداء الذى ليس له علاج والأمور تتفاقم تزداد يوما بعد يوم ..

إليك قصة عجيبة حدثت في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فوجئ أمير المؤمنين بشكاوى من كل الأمصار المفتوحة (مصر والشام وأفريقيا...)، وكانت الشكوى من عدم وجود مكان لتخزين الخير والزكاة، ويسألون: ماذا نفعل؟

فيقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أرسلوا منادياً ينادي في ديار الإسلام:

أيها الناس: من كان عاملاً للدولة وليس له بيتٌ يسكنه فلْيُبْنَ له بيتٌ على حساب بيت مال المسلمين .

يأيها الناس: من كان عاملاً للدولة وليس له مركَبٌ يركبه، فلْيُشْتَرَ له مركب على حساب بيت مال المسلمين .

يأيها الناس: من كان عليه دينٌ لا يستطيع قضاءه، فقضاؤه على حساب بيت مال المسلمين .

يأيها الناس: من كان في سن الزواج ولم يتزوج، فزواجه على حساب بيت مال المسلمين .

فتزوج الشباب الاعزب وانقضى الدين عن المدينين وبني بيت لمن لا بيت له وصرف مركب لمن لا مركب له .

بالله عليكم هل سبق وأن سمعتم أو قرأتم عن حضارة على مر العصور والأزمنة القديمة أو المعاصرة حدث فيها مثل ما حدث في عهد الخليقة الاسلامي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن الشكوى ما زالت مستمرة بعدم وجود أماكن لتخزين الأموال و الخيرات!، فيرسل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى ولاته: "عُودوا ببعض خيرنا على فقراء اليهود والنصارى حتى يسْتَكْفُواالعزيز"، و لكن المفاجئة الاكبر في القصة هي فأُعْطُوا، والشكوى ما زالت قائمة، فقال: وماذا أفعل، ذلك فضل الله يؤتيه من

يشاء، خذوا بعض الحبوب وانثروها على رؤوس الجبال فتأكل منه الطير وتشبع، حتى لا يقول قائل: جاعت الطيور في بلاد المسلمين .

الله الله ياعمر.. أننا نستصرخ والأمة اليوم وننادي ربنا: هل لنا مثل عمر؟؟!

الفصل الثاني

السياسة الخارجية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

كما كان لعمر بن عبد العزيز وقفته في السياسة الداخلية، ليعيد ما اعوج من الأمور إلى نصابه، ويحاول إصلاح ما رآه انحرافًا عن الجادة سواء في الناحية الإدارية أو المالية أو غيرها، كذلك كانت له وقفة مماثلة في السياسة الخارجية فقد رأى أن مساحة الدولة قد اتسعت، وأن أطرافها قد ترامت وتباعدت، ولعل كثيرًا من المشاكل والأخطاء التي وقع فيها بعض الولاة قد نشأت عن هذا الاتساع الكبير في مساحة الدولة، فكل إقليم كان يضيف إلى مشاكل الدولة عبئًا جديدًا، فرأى أنه من الحكمة إيقاف الفتوحات، أو الحد منها على الأقل؛ لأن التوقف عند حدود ما فتح من بلاد وأقاليم، والعمل على حَلِّ مشاكلها، وعرض الإسلام عليها بأسلوب حكيم دقيق، وقدوة حسنة، سوف يكون أجدى من المضي في الفتوحات، بل ربما لا تكون هناك حاجة بعد ذلك إلى فتح جديد؛ لأن الناس سيقبلون على الإسلام من تلقاء أنفسهم، لأنهم سيجدون فيه كل ما يرضيهم، روحيًّا وماديًّا، وما يحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة .

عندما حض على الجهاد وأعلن النفير في صدر الإسلام وحتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كانت الأمة الإسلامية كلها مقاتلة حين يدعو داعي الجهاد أو يهدد الدولة خطر خارجي أو فتنة داخلية. وكان كل قادر على حمل السلاح ومسجل في ديوان العطاء يهب للانخراط في الحملة العسكرية، ومن هنا كان أول ديوان هو (ديوان الجند)، يجري العطايا والرواتب على الجند .

وفي أثناء حصار القسطنطينية تولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك رحمه الله سنة ٩٩هـ، فأدرك الصعوبات التي تواجه المسلمين الذين استمر حصارهم للمدينة عامًا كاملاً ٩٨- ٩٩هـ، وكان مما بادر إليه عمر في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصروا القسطنطينية، وقد اشتد عليهم الحال وضاف عليهم المجال، لأنهم عسكر كثير، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم. وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق، يقال: خمسمائة فرس، ففرح الناس بذلك .

ونظرًا لقلة ذلك العدد الذي يُكوِّنُ الجيوش الإسلامية آنذاك، ونظرًا لتعاليم الإسلام نفسه، فقد كان واضحًا أثناء الحروب مدى حرص عمر رضي الله عنه على سلامة جند الإسلام؛ فرأى من موقع مسئوليته عن سلامة المسلمين أن ينهي هذه العملية، فكتب إلى مسلمة بن عبد الملك وأمره بالرجوع بالجيش فرجع. ولكن على الرغم من فشل الحملة فإن ذلك لا يقلل من جهود الأمويين في إعلاء شأن الإسلام، والتصدي بكل حزم وعزم لأعدائه، غير مبالين بالصعوبات مهما كانت شاقة، فقد صبروا وصابروا ولم يقصروا، ويكفي أنهم أذلوا دولة كبرى عتيدة، وجعلوا قصارى جهدها أن تدافع عن عاصمتها، وجعلوا الاستيلاء على هذه العاصمة أملاً ظل حيًّا في نفوس المسلمين أكثر من سبعة قرون ونصف، حتى تحقق في النهاية على يد شعب مسلم آخر قادم من أقصى الشرق، وهم الأتراك العثمانيون، حيث فتح السلطان العثماني محمد الفاتح المدينة واستولى عليها سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وأنهى الدولة البيزنطية من الوجود .

أصدر عمر رضي الله عنه إيقاف التوسع في المناطق النائية في أطراف الدولة، ومحاولة سحب القوات الإسلامية من مناطق القتال، وأول أعماله في هذا المضمار كان

في القوات التي عُني الخليفة سليمان بحشدها وإنفاذها بقيادة أخيه مسلمة لفتح القسطنطينية، وظلت تحاصرها مدة سنتين لاقت فيها مصاعب كثيرة دون أن تفلح في تحقيق هدفها، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، كتب بقفل مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية، وقد كان سليمان أغزاه إياها براً وبحراً، فاشتد عليهم المقام وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع، حتى يتنح الرجل عن دابته فتقطع بالسوق، ولجّ سليمان في أمرهم، فكان ذلك يغم عمر، فلما ولي رأى أنه لا يسعه فيها بينه وبين الله عز وجل شيء من أمور المسلمين ثم يؤخر فعله ساعة، فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب، وقد وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين، فوجه إليهم خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً وحث الناس على معونتهم، فكان الذي وجه إليه الخيل العتاق فيما قيل خمسمائة رأس.

وفي الأندلس ولىّ الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، السمح بن مالك الخولاني، وعهد إليه بإخلاء الأندلس من الإسلام إشفاقاً عليهم، إذ خشي تغلّب العدو عليهم لانقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين. غير أن السمح لم ير الانسحاب الكامل من الأندلس، فكتب إلى الخليفة يقول: «إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها، فاضرب عن ذلك»، وأزال الأندلس عن عمالة أفريقية.

وفي المشرق، كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عبد الرحمن والي خراسان يأمره بإقفال مَن وراء النهر من المسلمين بذراريهم، فأبوا وقالوا: « لا تسعنا مرو(قاعدة خراسان) »، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: «اللهم إني قد قضيت الذي عليّ فلا تغزُ بالمسلمين، فحسبهم الذي فتح الله عليهم» . وفي جبهة بلاد السند، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يُملكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد كانت بلغتهم سيرته

ومذهبه، فأسلم جيشه والملوك، وتسموا بأسماء العرب، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر.

وفي أذربيجان، أغار الترك على المسلمين، فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم، فَوَجَّه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي، فقتل أولئك الترك، فلم يفلت منهم إلا اليسير، فقدم منهم على عمر بخناصرة خمسون أسيراً.

وفي سنة ١٠٠هـ، أغارت الروم في البحر على ساحل اللاذقية، فهدموا مدينتها وسَبَوْا أهلها، فأمر ببنائها وتحصينها. وفي ١٠١هـ، أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص، وأمر بترحيل أهل طرندة وهم كارهون، وذلك لإشفاقه عليهم من العدو. وأراد أن يهدم المصيصة لتعُّرضها لغارات الروم، ثم أمسك عن ذلك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية "كفربيا"، واتخذ فيه صهريجاً وكان اسمه عليه مكتوباً، وجعلها مركزاً متقدماً لدرء الخطر عن أنطاكية من غزوات الروم المتكررة.

وكان عمر حازماً شديداً في أخذ الحق والدفاع عنه، وهذا ما تشير إليه رواية ابن عبد الحكم، حيث يذكر أنه عندما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رسولاً إلى ملك الروم، وقصّ عليه قصة رجل أسير في بلد الروم أجبر على ترك الإسلام واعتناق النصرانية، قائلين له: «إن لم تفعل سملت عينك»، فاختار دينه على بصره فسملت عيناه، فأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى ملك الروم وقال له: «أقسم بالله لأن لم ترسله إلي

فتوح أخرى

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أغار الترك على أذربيجان فقتلوا جماعة من المسلمين ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل الترك، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وجاء على الخليفة وهو بخناصرة بخمسين أسيرًا منهم . وغزا الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي بأهل حمص بلاد الروم على رأس صائفة. وقد غزا السمح بن مالك الخولاني فرنسا فاخترق جبال البرانس، وزحف على مقاطعتي سبتمانيا وبروفانس، ثم أغار على أكتيانيا وحاصر طلوشة (طولوز) فخرج له دوق أكتيانيا بجيش كبير، ونشبت معركة عظيمة بين الطرفين استُشْهِد فيها السمحُ بن مالك الخولاني عام ١٠٢هـ، وتولى إمرة جند المسلمين عبد الرحمن الغافقي، فانسحب بفلول الجيش إلى ناربونة (قاعدة سبتمانيا) . وقد تحقق ما تصوره في ذلك وزادت حركة الإقبال على الإسلام في البلاد المفتوحة في عهده زيادة كبيرة وأخذ عمر في إرسال الدعاة من خِيرَة العلماء ليدعوا الناس إلى الإسلام، بدلاً من إرسال الجيوش للفتح، كما بدأ يرسل الكتب إلى الملوك والأمراء المعاصرين يدعوهم إلى الإسلام فأرسل إلى أمراء ما وراء النهر، وإلى ملوك السند، يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم على بلادهم ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فلما وصلتهم رسائله وكانت قد بلغتهم سيرته وعدله، فقبلوا وأسلموا، وتسموا بأسماء عربية. كما أرسل إلى إمبراطور الدولة البيزنطية يدعوه إلى الإسلام،بعد أن خشي على المسلمين؛ فأمر بإعادة الجيش الذي كان يحاصر القسطنطينية دون جدوى منذ عهد سليمان بن عبد الملك.

ولقد تمتع الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بسمعة طيبة، تجاوزت حدود الدولة الإسلامية، فتروي المصادر التاريخية أنه حينما وصل الوفد الذين أرسلهم عمر إلى إمبراطور الروم لدعوته إلى الإسلام جاءت الأخبار إلى الإمبراطور من عيونه بوفاة عمر، فأرسل يستدعي رئيس الوفد، فلما مَثُلَ بين يديه سأله الإمبراطور: "أتدري لم بعثت إليك؟ قال: لا. فقال: إن صاحب مسلحتي كتب إليَّ أن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز مات، قال: فبكيت واشتد بكائي، وارتفع صوتي، فقال لي: ما يبكيك؟ ألنفسِك تبكي أم له أم لأهل دينك؟ فقال: لكلٍّ أبكي. قال: فابكِ لنفسك، ولأهل دينك، أما عمر فلا تبكِ عليه، فإن الله لم يكن ليجمع عليه خوف الدنيا وخوف الآخرة. ثم قال: ما عجبت لهذا الراهب الذي تعبَّدَ في صومعته وترك الدنيا، ولكن عجبت لمن أتته الدنيا منقادة، حتى صارت في يده ثم تخلى عنها" .

ثم يضيف الإمبراطور: "ولقد بلغني من بِرِّه وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى، لظننت أنه يحيي الموتى، ولقد كانت تأتيني أخباره باطنًا وظاهرًا،فلا أجد أمره مع ربه إلا واحدًا، بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه".

ذكرت كتب السير أن أمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أهل طرندة بالقفول عنها إلى ملطية وطرندة وأغلة في البلاد الرومية من ملطية بثلاث مراحل وكان عبد الله ابن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين وملطية يومئذ خراب وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر فأمرهم بالعود إلى ملطية وأخلى طرندة خوفًا على المسلمين من العدو وأخرب طرندة واستعمل على ملطية جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة .

و كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلم جيشه بن ذاهر والملوك تسموا له بأسماء العب وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة بن مسلم فغزا بعض الهند فظفر وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد ابن عبد الملك فلما كان أيام هشام ارتدوا عن الإسلام .

ولم تطل مدة خلافته إذ توفي ولم يتجاوز الأربعين من العمر، ولربما لو طالت لكثرت الفتوحات، ولانتشر الإسلام على نطاق واسع إذ لم تكن هناك أحداث داخلية تشغل الناس عن الجهاد، ولم يكن هناك عوز يجعلهم بحاجة إلى التفكير في تأمين حاجات أهليهم، والعمل لسد الضرورات في الحياة .

الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وأهل سمرقند

سمرقند هي تلك البلاد العظيمة تقع في شمال آسيا، صاحبة الأرض الخضراء فيها من النعيم والجبال والتلال والغابات ماتسحر بها العيون... سمرقند هي مدينة مليئة بالذهب والفضة والحرير والخزف والثروات الطبيعية، كما إنها لها جيش قوي شديد وكان أهل سمرقند وثنيين يعبدون الأصنام التي صنعوها من الأحجار المرصعة بالجواهر ثم يسجدون لها وكانت هذه الآلهة في معبد وسط الجبال ويعتبر هذا المعبد لكبار الرهبان وكانت هناك الكثير من المعابد الصغيرة المنتشرة في وسط سمرقند .

قال البلاذري في كتابه (فتوح البلدان): وقال أَبُو عُبَيْدة وغيره لما استخلف عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز وفد عَلَيْهِ قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين عَلَى غدر، فكتب عُمَر إِلَى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم جميع بْن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلمين عَلَى أن ينابذوهم عَلَى سواء، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب، وأقروا المسلمين، فأقاموا بَيْنَ أظهرهم. اهـ .

وكتبت عنها كتب السير والتاريخ الإسلامي: ووفاء المسلمين بالمعاهدات ـ نصّا وروحا ـ أصبح من الحقائق التاريخية التي لا يجادل فيه باحث منصف لدرجة أنه لما خالف أحد القادة الفاتحين هذه القاعدة وشذ عليها، سجل التاريخ الإسلامي تلك الحالة الوحيدة، وأزال خليفة المسلمين تلك المخالفة، والحالة هي حالة قتيبة بن مسلم، عندما دخل سمرقند على شروط معينة، ولكنه لما دخلها لم يف بالشروط، فلما جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩/ ١٠١ هـ) رفع إليه أهل سمرقند شكواهم، وقالوا: إن قتيبة دخل مدينتهم على وعد بالخروج منها، ولكنه لم يف بوعده، أي: غدر بهم،

فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامله على بلاد ما وراء النهر أن ينصب لهم قاضيا ينظر في شكواهم، فإن قضى بإخراج المسلمين من المدينة أخرجوا منها، فأقام لهم الوالي القاضي حاضر بن جميع، الذي نظر في القضية، ورأى أن الحق مع أهل سمرقند ـ المغلوبين ـ فحكم بإخراج المسلمين من المدينة على أن ينابذوهم على سواء، ولكن أهل سمرقند ـ وقد أذهلهم هذا السلوك الإسلامي الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ البشري ـ كرهوا الحرب وأقروا المسلمين على الإقامة في مدينتهم .

لم ترى المواثيق أو المعاهدات الدولية أوالحقوقية حادثة ومحاكمة مثل هذه الواقعة، في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كان قتيبة بن مسلم الباهلي" رحمه الله " يفتح المدن والقرى ينشر دين الله في الأرض ، وفتح الله على يديه مدينة سمرقند .افتتحها بدون أن يدعوَ أهلها للإسلام أو الجزية، ثم يمهلهم ثلاثاً كعادة المسلمين، ثم يبدأ القتال .

فلما علم أهل سمرقند بأن هذا الأمر مخالف للإسلام كتب كهنتها رسالة إلى سلطان المسلمين في ذلك الوقت وهو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أرسلوا بهذه الرسالة أحد أهل سمرقند يقول هذا الرسول:-

(أخذت أتنقّل من بلد إلى بلد أشهراً حتى وصلت إلى دمشق دار الخلافة فلما وصلت أخذت أتنقل في أحيائها وأُحدِّث نفسي بأن أسأل عن دار السلطان، فأخذت على نفسي إن نطقت باسم السلطان أن أؤخذ أخذاً فلما رأيت أعظم بناءٍ في المدينة، دخلت إليه وإذا أناس يدخلون ويخرجون ويركعون ويسجدون، وإذا بحلقات هذا البناء، فقلت لأحدهم أهذه دار الوالي؟ قال: لا، بل هذا هو المسجد . قال: صليت؟ قال: قلت: وما صليت؟، قال: وما دينك؟ قال: على دين أهل سمرقند، فجعل يحدثني عن الإسلام حتى اعتنقته وشهدت بالشهادتين ،ثم قلت له: أنا رجل غريب أريد

السلطان دلّني عليه يرحمك الله؟ قال أتعني أمير المؤمنين؟ قلت: نعم قال: اسلك ذلك الطريق حتى تصل إلى تلك الدار وأشار إلى دار من طين.

فقلت: أتهزأ بي؟قال: لا ولكن اسلك هذا الطريق فتلك دار أمير المؤمنين إن كنت تريده، قال: فذهبت واقتربت وإذا برجل يأخذ طيناً ويسدّ به ثُلمة في الدار وامرأة تناوله الطين، قال: فرجعت إلى الذي دلّني وقلت: أسألك عن دار أمير المؤمنين وتدلّني على طيّان! فقال: هو ذاك أمير المؤمنين .

قال: فطرقت الباب وذهبت المرأة وخرج الرجل فسلّم علي ورحّب بي وغسّل يديه، وقال: ما تريد؟ قلت: هذه رسالة من كهنة سمرقند فقرأها ثم قلبها فكتب على ظهرها، (من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عامله في سمرقند أن انصب قاضياً ينظر فيما ذكروا)، ثم ختمها وناولنيها .

فانطلقت أقول: فلولا أني خشيت أن يكذبني أهل سمرقند لألقيتها في الطريق ماذا تفعل هذه الورقة وهذه الكلمات في إخراج هذه الجيوش العرمرم وذلك القائد الذي دوّخ شرق الأرض برمتها .

قال: وعدت بفضل الله مسلماً كلما دخلت بلداً صليت بمسجده وأكرمني أهله، فلما وصلت إلى سمرقند وقرأ الكهنة الرسالة أظلمت عليهم الأرض وضاقت عليهم بما رحبت ، ذهبوا بها إلى عامل عمر على سمرقند فنصّب لهم القاضي جُمَيْع بن حاضر الباجي لينظر في شكواهم ،ثم اجتمعوا في يوم وسألناه دعوانا فقلنا اجتاحنا قتيبة، ولم يدعنا إلى الإسلام ويمهلنا لننظر في أمرنا فقال القاضي: لخليفة قتيبة وقد مات قتيبة "رحمه الله":أنت ما تقول؟

قال: لقد كانت أرضهم خصبة وواسعة فخشي قتيبة إن أذنهم وأمهلهم أن يتحصنوا عليه .

قال القاضي: لقد خرجنا مجاهدين في سبيل الله وما خرجنا فاتحين للأرض أشراً وبطراً، ثم قضى القاضي بإخراج المسلمين على أن يؤذنهم القائد بعد ذلك وفقاً للمبادئ الإسلامية .

ما ظنّ أهل سمرقند أنّ تلك الكلمات ستفعل فعلها ما غربت شمس ذلك اليوم ورجل من الجيش الإسلامي في أرض سمرقند، خرج الجيش كله ودعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال .

فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له في تاريخ البشرية من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها، قالوا: هذه أمة حُكمُها رحمة ونعمة، فدخل أغلبهم في دين الله وفُرضت الجزية على الباقين .

تقول كتب السير: وما إنْ غرُبت شمس ذلك اليوم إلا والكلاب تتجول بطرق سمرقند الخالية، وصوت بكاءٍ يُسمع في كل بيتٍ على خروج تلك الأمة العادلة الرحيمة من بلدهم، ولم يتمالك الكهنة وأهل سمرقند أنفسهم لساعات أكثر، حتى خرجوا أفواجاً وكبير الكهنة أمامهم باتجاه معسكر المسلمين وهم يرددون شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أنظر إلي هذه القصة التي روها كتب السير وأجمعت على صحتها .. ما أعظمها من قصة تتحدث عن عدالة أمة يراعها خليفة عادل، وما أنصعها من صفحة من صفحات تاريخنا المشرق، أرأيتم جيشاً يفتح مدينة ثم يشتكي أهل المدينة للدولة المنتصرة، فيحكم قضاؤها على الجيش الظافر بالخروج؟ .

وهذه كانت صفحة عظيمة من صفحات تاريخنا الإسلامي وتاريخ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي يبرهن في كل موقف، بل وفي كل يوم على عدل الإسلام مع المسلمين ومع غير المسلمين، والتي تثبت لكل المشككين في عدل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

الفصل الثالث

أخلاق وفضائل عمر بن عبد العزيز

لقد شهد له رسول الله ﷺبأنه خير أهل زمانه، وفي ذلك قال العباس بن راشد: زار عمر بن عبد العزيز مولاي فلما أراد الرجوع قال لي: اخرج معه فشيعه، فإذا نحن بحية سوداء ميتة، فنزل عمر عن بغلته فدفنها فإذا بهاتف يهتف: يا خرقاء يا خرقاء، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذه الحية: لتموتن بفلاة من الأرض وليدفنك خير أهل الأرض يومئذ، فقال عمر: أنشدتك الله إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت لي فقال: أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هذا الوادي، وإني سمعته يقول لهذه الحية ذلك، قال: فبكى عمر حتى كاد يسقط عن راحلته وقال: أنشدتك الله ياراشد ألا تخبر بهذا أحداً حتى يواريني التراب .

كان مفتاح شخصية عمر تلك النفس التواقة التي كانت دائمة التطلع و السعي إلى أوج المكارم و الفضائل، فما تبلغ منزلة إلا تاقت إلى ما هو خير منها، وأعلى مكانا، وأحسن رئيا، ولقد عبر هو عن نفسه فقال: "كانت لي نفس تواقة، فكنت لا أنال شيئا إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلى الآخرة". وعن سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال: قال عمر: " إن نفسي هذه تواقة، لم تعط من الدنيا شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه ، فلما أعطيت الخلافة التي لاشيء افضل منها، تاقت إلى ما هو أفضل منها" .

قال سعيد : الجنة أفضل من الخلافة .

لقد نشأ عمر نشأة طاهرة صالحة، فلما جاءه الشباب، ومن بعد الشباب الرجولة، كانت أخلاقه، و فضائله العالية قد وضع أساسها في رسوخ و ثبات على تقوى من الله .

وفي فترة الشباب– بما فيها من طموح– تؤثر الكفايات و المواهب أن تنطلق لتعبر عن نفسها، بعيدا عن تأثير الفضائل التي تحاول الأخذ بزمامها ، وكبح جماحها . لكن ابن عبد العزيز كان من طراز فريد، فمواهبه التي تتقد في نفسه و تمور مورا، كانت في قبضة فضائله، توجهها الوجهة الصحيحة السليمة المستقيمة، ذلك أن شخصيته أسست على أصول راسخة، وتكاملت على نسق فذ . إن فضائله التي تفتحت براعمها في طفولته، أخذت الآن تغادر تلك البراعم لتفوح بعبيرها ، وتملأ ساحة الشباب الواسعة العريضة، فتوسعت آفاقها و تعبيراتها و انعكاساتها في حياة الشاب و الرجل والخليفة .

وتلك الفضائل و المكارم لم تكن أسيرة جو معين موقت، ولا ردة فعل عن رغبات مكبوتة، ولا مظاهر عارضة تعصف بها عوارض الأيام، وتغشيها زخارف النعيم . مباهج الحياة؛ لا، بل إنها كانت تنبع من معين لا ينضب، وتتفجر من أصول ممتدة تتصل بابن الخطاب بسبب وثيق، وترضع من تقوى الفتاة الهلالية، وتنمو على شيخ الصحابة الأجل ابن عمر.

لقد كان رجلا فردا تكاملت فيه عناصر الرجولة الحقة، والتدين القويم، و الأخلاق العالية الكريمة، و التي تربت على كتاب الله منذ الصغر، ونهلت من معين السنة، وعاشت في كنف العلماء الأتقياء، و الزهاد العباد . فتوثقت بين عمر وبين هذه العوامل وأواصر الحب و الاقتداء، وتنامت وشائج الصلة معها؛ فجمع بين العلم و العمل .

وكان عمر رضي الله عنه يقول لجلسائه : من صحبنى منكم فليصحبنى بخمس خصال: يدلنى من العدل الى ما لا أهتدى له، ويكون لى على الخير عونا، ويبلغنى حاجة من لا يستطيع إبلاغها، و لا يغتاب عندى أحدا، ويؤدى الأمانه التى حملها منى ومن الناس، فاذا كان ذلك فحى هلا به، وإلا فهو خرج من صحبتى والدخول على .

نادى رجلٌ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: يا خليفة الله في الأرض! فقال له عمر: مه، إني لما ولدت اختار لي أهلي اسمًا، فسموني عمر، فلو ناديتني: يا عمر، أجبتك. فلما كبرت اخترت لنفسي الكنى، فكنيت بأبي حفص، فلو ناديتني: يا أبا حفص، أجبتك. فلما وليتموني أموركم سميتموني أمير المؤمنين، فلو ناديتني: يا أمير المؤمنين؛ أجبتك. وأما خليفة الله في الأرض، فلست كذلك، ولكن خلفاء الله في الأرض داود النبي عليه السلام وشبهه، قال الله تبارك وتعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) (ص: ٢٦) .

كان بحق إنسانا ربانيا يتبع المنهج الرباني القرآني في كل حياته، في شبابه، و كهولته، عندما كان واحدا من المسلمين، وإبان ولايته للحرمين، وحين أضحى خليفة المسلمين .

وكان صارما في إتباع منهج الله تعالى، ملتزما الحق في تطبيقه على نفسه و أهله وأقاربه و الناس أجمعين .

تلك هي الأخلاق الأصيلة التي لا تتغير بتغير الأطوار، ولا تتلون حسب الزمان و المكان، ولا تضطرب موازينها بين حين و آخر، أو موقف وآخر.

ومن أخلاقه الفاضلة، وشمائله الحميدة، كرمه وسخاؤه، فكان ينفق في ذات الله على العلماء و الفقراء، والمساكين و المحتاجين، يبتغي بذلك وجه الله، ولا يرى لنفسه

في ذلك فضلا، ولا يستكثر نفقة مهما عظمت . وفي ذلك يقول رضي الله عنه " ما أعطيت أحدا مالا إلا و أنا استقله، وإني لأستحي من الله عز وجل أن اسأل الجنة لأخ من أخواني، وأبخل عليه بالدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك كنت بها ابخل" .

وكان يحرر العبيد، ومن ذلك ما يرويه ابن سعد بسنده : " احتبس عمر بن عبد العزيز غلاما له، يحتطب عليه و يلقط له البعر. فقال له الغلام: الناس كلهم بخير غيري و غيرك! فقال: فاذهب فأنت حر " .

كما كان يكرم العلماء، ويرفع منازلهم، ويعطيهم دونما مسألة منهم له فعن مجاهد قال: " قدمت على عمر بن عبد العزيز، فأعطاني ثلاثين درهما، و قال : يا مجاهد، هذه من عطائي" .

ومن خلقه الكريم كان تقيا، يتحرى اللقمة الحلال، ويعظ ما يقدر عليه، ويحث الناس على طاعة الله وحساب اليوم الآخر .

و من شدة ورعه، كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لا يحكم على أحد متعجلا مخافة أن يظلمه، بل يتروى ثلاثة أيام قبل أن يصدر الحكم على رعيته حتى وصف بأنه هو الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، الراشد .

وكان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين، وكان حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيِّد السياسة حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوّاها منيباً، قانتا لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوهُ وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم مما أخذوه بغيرحق .

كان وهب بن منبه الفقيه الورع مسؤولاً عن بيت مال اليمن في عهده، فكتب إلى عمر: إني فقدت منه دنانير، فأجابه: إني لا أتهم دِينكَ ولا أمانتكَ، ولكني أتهم تضييعكَ وتفريطكَ، وأنا حجيج المسلمين في أموالهم، وأمره بردّ ما فقد من المال، فردّه وهب من خاصّة ماله! .

قال دُكَيْن بن سعيد الدارمي:

إنّي امرؤ من قطن من دارم طلبت دَيني من أخي المكارم فنظر إليّ مَولاه

أبو يحيى نظرة طويلة، ثم التفت إليه، وقال: يا أمير المؤمنين، إن عندي لهذا البدوي شهادةً عليك، كان أحد شهوده مولاه أبو يحيى، فقال: أعرفها، ثم التفت إليّ وقال: ادن مِني يا دُكَين، فلما صرت بين يديه مال عليّ، وقال: أتذكر ما قلته لك في المدينة: من أن نفسي ما نالَت شيئًا قط، إلا أنها تاقت إلى ما هو أعلى منه؟ فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين، فقال: وهذا أنا ذا نلت غاية ما في الدنيا، وهو المُلك، فنفسي الآن تتوق إلى غايَة ما في الآخرة، وهي الجنَّة.

- ومرةً قال: (تاقَت نفسي إلى الإمارة، فلما بلغتها، تاقَت نفسي إلى الخلافة، فلمَّا بلغتها، تاقَت نفسي إلى الجنَّة، ولئن كان الملوكُ يجعلون الملك سبيلاً لبلوغ عز الدنيا، فلأجعلنهُ سبيلاً إلى بلوغ عز الآخرة) .

ثم قال: يا دُكَين، إني والله ما رزأت – أخذت – المسلمين في أموالهم درهمًا ولا دينارًا منذ وليت هذا الأمر، وإني لا أملك إلا ألف درهمٍ، فخذ نصفها، واترك لي نصفها، فأخذت المال الذي أعطانيه، فو الله ما رأيت أعظم منه بركةً) .

هذه أول صورة، شاعر أعطاه يوم كان أميرًا خمس عشرة ناقة، فلما صار خليفة، أعطاه خمسمئة دينار من ماله الشخصي، وهو يقسم أنه ما أخذ دينارًا واحدًا من مسلمٍ من رعِيته .

سيدنا عمر بن الخطاب قال هذا، قال: (أيها الناس، لكم علي خمس خِصال، خذوني بهن؛ لكم علي أن لا آخذ من أموالكم شيئًا إلا بِحَقها، ولكم علي أن لا أنفق هذا المال إلا بِحَقه، وإذا غبت في البعوث، فأنا أبو العيال حتى ترجعوا، ولكم علي أن أزيد عطاياكم إن شاء الله تعالى، ولكم عليَّ أن لا أُجمِّركم في البعوث) .

وقال: يرويها قاضي الموصِل يحيى بن يحيى الغساني، يقول: (بينما عمر يطوف ذات يومٍ في أسواق حمص، يتفقد الباعة، وليَتعرف على الأسعار، إذ قام إليه رجل، عليه بردان أحمران قطريان، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد سمعتُ أنَّك أمرْت من كان مظلومًا أن يأتِيَك، فقال: نعم، وها أنا قد أتيتك، وها قد أتاك رجل مظلوم بعيد الدار، فقال عمر: وأين أهلك؟ فقال: في عدن، فقال عمر: إن مكانك من مكان عمر لبعيد، ثم نزل عن دابته، ووقف أمامه، وقال: وما ظلامتُكَ؟ فقال: ضيعة لي – بستان – وثب عليها رجل ممن يلوذون بك، وانتزعها مني، فكتب عمر كتبًا إلى عروة بن محمد واليه على عدن، يقول فيه: أما بعد، فإذا جاءك كتابي هذا، فاسمع بينة حامله، فإن ثبت له حق، فادفع له حقه، ثم ختم الكتاب، وناولَهُ الرجل، فلما هم الرجل بالانصراف، قال له عمر: على رِسْلِك، إنَّك قد أتَيْتنا من بلدٍ بعيد، ولا ريب في أنك استنفذت في رحلتك هذه زادًا كثيرًا، وأخلقت ثيابًا جديدة، ولعله نفقت لك الدابة، ثم حسب ذلك كله، فبلغ ذلك أحد عشر دينارًا، فدفعها إليه، وقال: أَشِع هذا في الناس، قل للناس: إن عمر أعطاني نفقة السفر، حتى لا يتثاقل مظلوم عن رفع ظلامته بعد اليوم، مهما كان بعيد الدار) .

وروى العابد الزاهد زِياد بن ميْسَرَة المخزومي، قائلا: (أرسلني موْلاي عبد الله بن عياش من المدينة إلى دمشق للِقاء أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في حوائج له، وكانت بيني وبين عمر صِلَةٌ قديمة، ترجعُ إلى عهْد ولايتِهِ على المدينة، فدخلْت عليه، فإذا عندهُ كاتبٌ يكتب له، فلمَّا صرْتُ في عتبة الحجرة، قلْتُ: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله يا زِياد، ثمَّ مضَيْتُ نحْوهُ خَجِلاً، لأنّي لم أُسلِّمْ عليه بإمرة المؤمنين، فلمَّا انْتَهيْتُ إليه قلتُ: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته، عدَّلَ، فقال: يا زِياد، إنَّني لمْ أُنْكرْ عليك السَّلام الأوّل، فما الحاجة إلى الثاني؟ -المؤمن يتعلَّق بالحقائق، وبجَوْهر الحياة . فقال: يا زِياد، إنَّني لمْ أُنْكرْ عليك السَّلام الأوّل، فما الحاجة إلى الثاني؟ فكان كاتبُهُ إذْ ذاك يقرأُ عليه مظالمَ جاءتْهُ من البصرة مع البريد، فقال لي: اِجْلسْ يا زياد حتَّى نفْرغَ لك، فجلسْتُ على خشبة الباب، والكاتب يقرأ عليه ، وعمر يتنفَّس الصُّعداء من الهمّ، فلمَّا فرغَ كاتبهُ من قراءة الرِّقاع التي معه، وانطلقَ إلى شأنه، قام عمر من مجلسِهِ، ومشى إليه، حتى جلسَ بين يديّ عند الباب، ووضعَ يديْه على ركبتي، ثمَّ يقوم سيّدنا عمر بن عبد العزيز بنفسه عند هذا المولى الذي جاءهُ من المدينة، وقد أرجأهُ قليلاً، لِيَحلّ قضايا المظالم، يبدو أنَّه غفل، فقال لِزياد: هنيئًا لك يا زياد، لقد اسْتدفأْتَ بِمَدْرعتِكَ، واسْترحْتَ مِمَّا نحن فيه، الخلافة كانتْ عبئًا.

- سيّدنا عمر قال: (لسْتُ خيرًا من أحدكم، ولكنَّني أثقلكم حِمْلاً، والله لو تعثَّرَتْ بغلةٌ في العراق، لحاسبني الله عنها، لِمَ لمْ تفْسِح لها الطريق ياعمر؟! .

مرَّةً حرمَ نفسهُ أكلَ اللَّحْم مدّةً طويلة، فأصبحَ في بطنهِ صوتًا، فقال: (قَرْقِرْ أيُّها البطْن أو لا تُقَرْقِرْ، فو الله لن تذوق اللَّحْم، حتى يشبعَ منه صِبْيَة المؤمنين) .

(مرَّةً دخلتْ عليه زوجتهُ فاطمة، فرأتْهُ يبكي في مُصلاَّه، قالتْ له: (ما لكَ تبكي؟ فقال: دعيني وشأني، فلمَّا ألحَّتْ عليه، قال: إنّي وُلّيتُ هذا الأمْر، فذكَرْتُ

الفقير الجائع، والضَّعيف، وذو الحاجة، والأسير، والمظلوم، وذا العِيال، فعَلِمْتُ أنَّ الله سيُحاسبني عن هؤلاء جميعًا، وأنّ حجيجَهم دوني رسولُ الله، فلهذا أبكي، دعيني وشأني) .

وكانت عليَّ مدْرعة صوف، ثمَّ طفقَ يسألني عن صُلَحاء أهل المدينة؛ رِجالهم ونسائهم واحدًا واحدًا، فما ترك منهم واحدًا إلا وسألني عنه، ثمّ سألني عن أشياء كان أمرَ بها في المدينة، حينما كان واليًا عليها، فأخبرتهُ عن كلّ ما سأل، ثمَّ تنهَّد وقال: يا زياد، ألا ترى إلى ما وقع فيه عمر؟ فقلتُ: إنِّي أرجو لك في ذلك خيرًا وأجْرًا، فقال: هيهات، ثمَّ بكى، حتى رثَيْتُ له، وقلتُ: اِرْفق بِنَفسك يا أمير المؤمنين، فإنِّي لأرجو لك خيرًا كثيرًا، فقال: ما أبْعَدَ ما ترْجوهُ يا زياد!.

قال: لقد أصْبح في وُسعي أن أشْتِمَ ولا أُشْتَم، وأن أضْربَ ولا أُضرَب، وأن أوذِيَ الناس، ولا يؤذيني أحد، -مَن بإمكان مجابهة الملك؟ ومن بإمكانه أن يضربهُ؟ منْصب الملك أعلى منصب- ثمَّ بكى كرَّةً أخرى حتى جعلتُ أرثي له، ولقد أقمْت عندهُ أيامًا ثلاثة، حتى قضى ما أرسلني به مولاي، فلمَّا همَمْتُ بالانصراف، زوَّدني بِكتابٍ إلى سيّدي يسألهُ فيه: أن يبيعني منه، ثمَّ أخرج من تحت فراشه عشرين دينارًا، وقال: اسْتَعِن بهذا المال على دنياك، ولو كان لك حقّ في الفيء لأعْطَيناك، فأبيْتُ أن آخذ المال منه، فقال: خُذْهُ فما هو من مال المسلمين، إنَّما هو من نفقتي، فامْتنعْتُ عن أخذه، ولكنَّه ما زال بي حتى أخذتهُ منه، ومضَيْتُ، فلمَّا بلغْت المدينة، دفعْت بكتاب أمير المؤمنين إلى مولاي، ففضَّه، وقال: إنَّما سألني أن أبيعك له لِيُعْتِقَكَ، فلِمَ لا أكون أنا المُعْتِقَ لك؟ ثمّ أعْتقَهُ) .

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حليمًا عادلاً، خرج ذات ليلة إلى المسجد ومعه رجل من الحراس، فلما دخل عمر المسجد مرَّ في الظلام برجل نائم،

فأخطأ عمر وداس عليه، فرفع الرجل رأسه إليه وقال أمجنون أنت؟ فقال: لا، فتضايق الحارس وهَمَّ أن يضرب الرجل النائم فمنعه عمر، وقال له: إن الرجل لم يصنع شيئًا غير أنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

لقد كان همه الأول والأخير أن يعيش المسلمون في عزة وكرامة، ينعمون بالخير والأمن والأمان، كتب إلى أحد أمرائه يقول: لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، وكان يأمر عماله بسداد الديون عن المحتاجين، وتزويج من لا يقدر على الزواج، بل إن مناديه كان ينادي في كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى استطاع بفضل من الله أن يغنيهم جميعًا .

عن سلمة بن دينار(عالم المدينة، وقاضيها، وشيخها) قال: (قدمتُ على خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز، وهو بقرية من أعمال حلب، وكانت قد تقدّمتْ بيَ السنُّ، وبَعُد بيني وبين لقائه العهدُ، فوجدتُه في صدر البيت، غير أني لم أعرفه، لتغيُّر حاله عما عهدتُه عليه، يوم كان والياً على المدينة .

– عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال ﷺ:

(لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت؛ ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا، ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا، ولا دخلتم بيتا تستظلون به، ولمررتم إلى الصعدات تلدَمون صدوركم، وتبكون على أنفسكم) .

أحيانًا الإنسان، يقال له: تعال إلينا بعد يومين، لنسألك عن بعض الموضوعات، لا ينام الليل، ولا يأكل، ولا يشرب، إنسان سيسألك، وأنت بريء، ولم تقترف إثماً، ولم ترتكب جرماً، ولك صفحة بيضاء ناصعة جداً، ومع ذلك لا تنام

الليل، ولا تأكل، تقول: ماذا يريدون مني؟ يا ترى ما السؤال؟ لذلك قال ﷺ: (لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت؛ ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا، ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا، ولا دخلتم بيتا تستظلون به، ولمررتم إلى الصعدات تلدّمون صدوركم، وتبكون على أنفسكم) .

قال: فرحّب بي، وقال: أدنُ مني يا أبا حازم، فلما دنوتُ منه، قلت: ألستَ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز؟ قال: بلى، -هذا يعني أنّه تَغَيَّر تغيُّرًا شديدًا، وهذا الحزن المقدس، وهذا هو القلق المقدس، وهذا هو الخوف المقدس، هناك قلق على الدنيا، وخوف من الفقر، وخوف من زوال بعض النعم، وحزن على ما فات من الدنيا.

الصديق رَضِي اللَّه عَنْه، قرأت عنه كلمة لا أنساها: ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط، والنبي عليه الصلاة والسلام يعلّمنا من خلال بعض أدعيته، أن الدنيا لا قيمة لها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ) أخرجه الترمذي في سننه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:

(اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ) أخرجه الترمذي في سننه

يعني بالنهاية زوجته ليست كما يريد، وبيته ليس كما يريد، ودخله ليس كما يريد، (وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ).

الدنيا مشغلة، ومجبنة، ومبخلة، فربما لا تدري أن هذا الوضع المتوسط هو أنسب وضع لك أيها المؤمن، وأن هذه المشكلة هي التي دفعتك إلى الله، وأن هذه المصيبة هي التي حفزتك إلى باب الله، فلذلك أنا متأثر جداً بقول الإمام الغزالي: (ليس في الإمكان أبدع مما كان) فحينما أُخِذَ عليه هذا القولُ، فَسَّره بعضهم وقال: أيْ ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

ألست أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز؟ قال: بلى، فقلت: ما الذي حل بك؟ ألم يكن وجهك بهيًّا، وإهابك طريًّا، وعيشك رخيا؟ قال: بلى .

ورع و زهد و تواضع عمر رضي الله عنه

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل الخلافة على قدم الصلاح إلا أنه كان يبالغ في التنعم فكان الذي يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التنعم والاختيال في المشية .

و لما تلقى عمر بن عبد العزيز خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد .

يقول رجاء بن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية ونحن نبكي، هل تبكي معنا!! ثم نزل، فقربوا له المَراكب والموكب كما كان يفعل بسلفه،

قال: لا، إنما أنا رجل من المسلمين، غير أني أكثر المسلمين حِملاً وعبئاً ومسئولية أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين .

- ثم نزل في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريبًا من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام - وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقًا إلى الرباط غربًا، ومن تركستان شمالاً، إلى جنوب أفريقيا جنوبًا - قال: فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسلّمي حُليّك وذهبك إلى بيت المال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالي أمتعك متاعاً حسنًا، واذهبي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، الحياة حياتُك، والموت موتُك، وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفَعَه إلى ميزانية المسلمين.

خوفه من التقصير في خدمة المسلمين .

ورع عمر بن عبد العزيز:

ذكر ابن سعد في الطبقات عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا خطب على المنبر فخاف على نفسه العجب قطعه، وإذا كتب كتابا فخاف فيه العجب مزقه ويقول: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي .

اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله مطالعا فيه منة الله عليه به وتوفيقه له فيه وأنه بالله لا بنفسه ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي من عليه بذلك هو الذي من عليه

بالقول والفعل فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبت عن شهود منه ربه وتوفيقه وإعانته. فإذا غاب عن تلك الملاحظة وثبت النفس وقامت في مقام الدعوى، فوقع العجب ففسد عليه القول والعمل، تارة يحال بينه وبين تمامه ويقطع عليه ويكون ذلك رحمة به حتى لا يغيب عن مشاهدة المنة والتوفيق. وتارة يتم له ولكن لا يكون له ثمرة، وإن أثمر ثمرة ضعيفة غير محصلة للمقصود. وتارة يكون ضرره عليه أعظم من انتفاعه، ويتولد له منه مفاسد شتى بحسب غيبته عن ملاحظة التوفيق والمنة ورؤية نفسه وإن القول والفعل به.

من هذا الموضع يصلح الله سبحانه أقوال عبده وأعماله ويعظم له ثمرتها أو يفسدها عليه ويمنعه ثمرتها فلا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس، فإذا أراد الله بعبده خيرا أشهده منته وتوفيقه وإعانته له في كل ما يقوله ويفعله فلا يعجب به. ثم أشهده تقصيره فيه وأنه لا يرضى لربه به فيتوب إليه منه ويستغفره، ويستحي أن يطلب عليه أجرا وإذا لم يشهده ذلك وغيبه عنه فرأى نفسه في العمل ورآه بعين الكمال والرضا، لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة، فالعارف يعمل العمل لوجهه مشاهدا فيه منته وفضله وتوفيقه، معتذرا منه إليهن مستحييا منه إذ لم يوفه حقه، والجاهل يعمل العمل لحظه وهواه ناظرا فيه إلى نفسه يمن به على ربه راضيا بعمله، فهذا لون وذاك لون آخر .

فائدة في ذكر شيء من ورع الخليفة الراشد: عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وزهده .

عن فاطمة ابنة عبدالملك، قالت : اشتهى عمر بن عبد العزيز يومًا عسلاً ، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار، فأتى بعسل،

فقلت: إنك ذكرت عسلاً وعندنا عسل، فهل لك فيه ؟ قالت : فأتيناه به فشرب، ثم قال: من أين لكم هذا العسل ؟

قالت: وجَّهنا رجلاً على دابةٍ من دواب البريد بدينار إلى بعلبكَّ ، فاشترى لنا عسلاً .

فأرسل إلى الرجل، فقال : انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه، واردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل، فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين قيءٌ لتقيَّأتُ .

أُتِي عمر بن عبدالعزيز من الفيء ذات يوم بعنبره، وعنده ليث بن أبي رقيَّة كاتبه، فأخذها بيده فمسحها، ثم أمر بها، فرفعت حتى تباع، قال : ثم إنَّه أمرَّ يده على أنفه، فوجد ريحها، فدعا بوضوء، فتوضأ، قال: فقلت له: ما هذا الذي أصبت منها حتى تتوضَّأ ؟

قال: عجبًا لك يا ليث، وهل يُنْتَفع منها إلا بالذي وجدت، أتُؤْكل؟ أو تُشرَب؟

قال: وأُتِي عمر بن العزيز يومًا بمسك من الفيء، فَوُضِع بين يديه، فوجد ريحه، فوضع يده على أنفه، وقال: أخِّروه، حتى لم يجد له ريحًا .

وذكر ابن الجوزي:

أُرْسِلَت لعمر بن عبدالعزيز سلَّتا رُطبٍ من الأُردن ، فقال : ما هذا ؟

قالوا : رطب بعث به أمير الأردن .

قال : علامَ جيء به ؟

قالوا على دواب البريد .

قال : فما جعلني الله أحقَّ بدواب البريد من المسلمين ، أخرجوهما ، فبيعوهما ، واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد .

فغمزني ابن أخيه فقال لي: اذهب، فإذا قامتا على ثمن، فخذهما عليَّ .

قال: فأُخرجتا إلى السُّوق فبلغتا أربعة عشر درهماً ، فأخذتُهما ، فجئت بهما إلى ابن أخيه ، فقال : اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين .

وحبس لنفسه واحدةً، قال: فأتيته بها، فقال: ما هذا ؟

قلت: اشتراهما فلان ابن أخيك ، فبعث إليك بهذه وحبس لنفسه الأخرى .

قال: الآن طاب لي أكله .

وقال عمر لزوجته فاطمة بنت عبدالملك :

قد علمت حال هذا الجوهر – لحليها – وما صنع فيه أبوك ، ومن أين أصابه ، فهل لك أن أجعله في تابوت، ثم أطبع عليه ، اجعله في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما دونه، فإن خلصت إليه أنفقته، وإن مت قبل ذلك ليرُدُّنَّه إليك ؟

قالت له: افعل ما شئت .

ففعل ذلك، فمات رضي الله عنه، ولم يصل إليه، فردّ ذلك عليها أخوها يزيد بن عبدالملك، فامتنعت من أخذه، وقالت: ما كنت لأتركه ثم آخذه .

فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه .

وأتت عمَّةُ عمر بن عبدالعزيز إلى امرأته فاطمة، فقالت:

إنِّي أُريد كلام أمير المؤمنين، قالت لها: اجلسي حتى يفرُغ .

فجلست، فإذا بغلام قد أتى، فأخذ سراجًا .

فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، إذا كان في حوائج العامَّة كتب على الشمع، وإذا صار في حاجة نفسه دعا بسراجه .

فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراصٌ وشيء من ملح، وزيت، وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي .

قال: وما ذاك يا عمَّة ؟

قالت: لو اتخذت لك طعامًا ألينَ من هذا .

قال: ليس عندي يا عمَّه، ولو كان عندي لفعلت .

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبدالملك يُجرِي عليَّ كذا وكذا ، ثمَّ كان أخوك الوليد فزادني ، ثم وُلِّيت أنت فقطعته عني .

قال: يا عمَّة، إن عمي عبدالملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك لي، فأعطيَكِه، ولكني أعطيك مالي إن شئت .

قالت: وما ذاك، يا أمير المؤمنين ؟

قال: عطائي مائتا دينار ، فهل لك ؟

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك ؟

قال: فليس أملك غيره يا عمَّة .

قالت: فانصرفت عنه .

قال الأوزاعي رحمه الله: كان عمر بن عبد العزيز يصوم ويفطر على البقل وكان في غالب أوقاته يغمس الخبز بالدقيق ويأكله، وأُهدي إليه طبق فيه تفاح فردّه ولم يأكل

منه شيئا، فقيل له ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟! قال بلى ولكن الهدية لرسول الله ﷺ هدية ولنا رشوة.

أدرك عمر رضي الله عنه عظم المهمة التي حملها فكان بعد رجوعه من جنازة سليمان مغتمًا فسأله مولاه : مالي أراك مغتمًا ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليغتم، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه مني .

عن عطاء بن رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه، سائلة دموعه... فقلت: يا أمير المؤمنين، ألشيء حدث؟ .

قال: يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، و المظلوم المقهور، والغريب المأسور، وذي العيال في اقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عن خصومته، فرحمت نفسي فبكيت .

قال ابن عبد الحكم: "لما ولي عمر بن عبد العزيز زهد في الدنيا، ورفض ما كان فيه، وترك ألوان الطعام"، فكان لا يهمه من الأكل إلا ما يسد جوعه، ويقيم صلبه، وكانت نفقته وعياله في اليوم درهمين، كما في الأثر عن سالم بن زياد قال: "كان عمر ينفق على أهله في غدائه وعشائه كل يوم درهمين"، وكان لا يلبس من الثياب إلا الخشن، وترك مظاهر البذخ والإسراف التي سادت قبله وأمر ببيعها وأدخل أثمانها في بيت مال المسلمين، بل إنه في مرض موته لم يكن له إلا ثوب واحد؛ فعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك "زوجة عمر": – يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين. قالت: نفعل إن شاء الله. ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟! قالت: والله ما له قميص غيره " .

قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: " قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدبا ولا أكرم عشرة من أبيك، سمرت عنده ليلة، فبينا نحن كذلك إذ عشى المصباح ونام الغلام، فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح ونام الغلام فلو أذنت لي أصلحه، فقال: «إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه»، ثم حط رداءه عن منكبيه وقام إلى الدبة، فصب من الزيت في المصباح وأشخص الفتيلة ثم رجع، وأخذ رداءه وقال: «قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر" .

ومر يوم العيد، بعد أن صلى بالمسلمين، وهو على بغلته، مرَّ بالمقابر، فقال: انتظروني قليلاً – ذكر ذلك ابن كثير – انتظروني قليلاً فوقف الوزراء، والصلحاء، والأمراء، والناس، ونزل عن بغلته، فوقف على المقبرة، التي فيها الخلفاء من بني أمية، والتي فيها الأغنياء، وقال:

أتيـــت القـــب،ورَ فناديتهـــا ... أيـــن المعظّـــمَ والمحتقـــر

تفـــانوا جميعًـــا فمـــا مخبـــرٌ ... ومـــاتوا جميعًـــا ومـــات الخبـــر

فيـــا ســـائلي عـــن أناس مضَـــوْا ... أمـــالَك فيمـــا مضـــى معتـــبر

ثم وقف على طرف المقبرة وقال: يا موت، ماذا فعلت بالأحبة؟ يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟ ثم بكي وجلس ينتحب، حتى كادت أضلاعه أن تختلف، ثم عاد إلى الناس، وقال: أتدرون ماذا قال الموت؟ قالوا: ما ندري. قال: يقول بدأت بالحدَقتين، وأكلت العينين، وفصَلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، والركبتين من الفخذين.

باتــوا علــى قُلَــلِ الآمــال تحرســهم ... غُلــبُ الرجــالِ فمــا أغنــتهم القُلَــلُ

واستُنْزِلوا بعد عزٍّ من مساكنهم إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا

عاد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يومًا إلى داره بعد صلاة العِشاء، ولمح بناته الصغار، فسلم عليهن كعادته، وبدلاً من أن يسارعن نحوه بالتحية كعادتهن، رحن يتبادرن الباب ويغطين أفواههن بأكفهن، فسأل: ما شأنهن؟ فأجيب بأنه لم يكن لديهن ما يَتعشين به سوى عدس وبصل، فكرهن أن يشم من أفواههن ريح البصل، فتحاشينه لهذا، فبكى أمير المؤمنين، وقال يخاطبهن: يا بناتي، ما ينفعكن أن تعشن الألوان والأطايب، ثم يُذهب بأبيكن إلى النار.

وكان من زهده رضي الله عنه أنه كانت إذا جاءته الأموال يقسمها على الناس ولا يأخذ منها شيئاً؛ فعن الفهري عن أبيه، قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة، فانتزعها من فيه، فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبراً –يبكي– فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا. وقصت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي، ولكن كرهتُ أن أضيع نصيبي من الله –عز وجل– بتفاحة من فيء المسلمين .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كثير التضرع والدعاء، فقد كان يقول: يا رب خلقتني ونهيتني ووعدتني بثواب ما أمرتني، ورهبتني عقاب ما نهيتني عنه وسلطت علي عدواً أسكنته صدري وأجريته مجرى دمي، إن أهمّ بفاحشة شجعني وإن أهم بصالحة ثبطني، لا يغفل إن غفلت، ولا ينسى إن نسيت، ينصب لي في الشهوات، ويتعرض لي في الشبهات، وإلا تصرف عني كيده يستذلني، اللهم فأقهر سلطانه علي بسلطانك عليه حتى أحبسه بكثرة ذكري لك فأكون مع المعصومين بك، ولا حول ولا

قوة إلا بالله، وكان يقول: اللهم أصلح صلاح أمة محمد ﷺ، اللهم أهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ.

وقال مرة: إن نفسي هذه نفس تواقة – أي عنده طموح – وإنها لم تعط شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت الذي لا شيء أفضل منه في الدنيا يعني من ناحية الرتبة، أي الخلافة تاقت إلى ما هو أفضل من ذلك يعني الجنة.

قالت له فاطمة امرأته مرة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل – يعني يوم القيامة إذا انفض ذلك اليوم – انفض الناس فريق في الجنة وفريق في السعير.

وكان رضي الله عنه شديد التأثر أن يرى أحداً من المساكين فيبكي لحاله ويأمر له بما يصلحه، يتورع عن أموال المسلمين، عن كل درهم منها؛ لأنه أمانة في عنقه. كان يحرس أموال المسلمين، وقد أنشأ لهم مطبخاً يطبخ منه لفقرائهم وإطعامهم، فمرة أراد أن يغتسل والجو بارد فلم يوجد في ذلك اليوم يوم الجمعة في يوم زمهرير، لم يوجد في بيته حطب لتسخين الماء فأخذوا الماء إلى مطبخ المسلمين لتسخينه، فلما جيء بالماء سأل: ليس عندكم حطب لعلكم ذهبتم به إلى المطبخ؟ فجيء بصاحب المطبخ، فقال له: قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أوقدت تحته عوداً، ما استعملت حطباً جديداً ولكن جمر لو تركته لصار رماداً، قال: بكم أخذت الحطب قال: بكذا، فجاء إليه بثمنه، وكان إذا أراد أن يأكل مع المسلمين في مطبخ المسلمين جعل مالاً في نفقة ذلك المطبخ مع أنه واحد منهم . وقال ابن القيم في مدارج السالكين:

"وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه: إنه بلغني أنك اشتريتِ خاتما بألف درهم فبعه وأطعم منه ألف جائع واشتر خاتما من حديد بدرهم واكتب عليه، (رحم الله أمرأ عرف قدر نفسه) " . والله أعلم .

عن مغيرة بن حكيم قالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز حدثنا مغيرة أنه يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر بن عبد العزيز وما رأيت أحدا أشد فرقا من ربه منه كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه ثم يتنبه فلا يزال يدعو رافعا يديه يبكي حتى تغلبه عينه يفعل ذلك ليله أجمع ابن المبارك عن هشام بن الغاز عن مكحول لو حلفت لصدقت ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز .

كان رضي الله عنه و كان وقافاً عند كتاب الله، شديد التأثر بالقرآن، رؤي يتلو على المنبر مرة: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)، (الأنبياء: ٤٧)، حتى ختم الآية فمال على أحد شقيه حتى كاد يسقط – أي من تأثره –.

وقرأ عنده رجل مرة: (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)، (الفرقان: ١٣)، فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه وقام من مجلسه فدخل بيته وتفرق الناس .

كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله، وانتفض انتفاضة الطير، وبكى حتى تجري دموعه على لحيته، ولما رفع رأسه من السجود خلف المقام مرة، نظروا إلى موضع سجوده مبتلاً من دموع عينيه .

وعن عطاء قال كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون وقيل كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل إنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض إليك كل فان وحبب إليك كل باق والسلام .

ومن تواضعه رضي الله عنه أنه كان يطلب من العلماء توجيهه نحو ما ينفع الأمة، فقد شهد عهده أكبر عدد من الرسائل التوجيهية وجهت إليه، وهي:

- موعظة العالم الجليل محمد بن كعب القرظي قال له: (يا أمير المؤمنين افتح الأبواب، وسهل الحجّاب، وانصر المظلوم، ورد الظالم) .

- وموعظة العالم القاسم بن مخيمرة قال له: (بلغنا أن من ولي على الناس فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه، قال عمر: فما تقول: ثم أطرق طويلاً وبرز للناس) .

- وموعظة العالم الرباني الحسن البصري (أما بعد: يا أمير المؤمنين، فكن للمثل أخاً وللكبير ابناً وللصغير أباً، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار) .

- وموعظة العالم سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (... فإنه كان قبلك رجال سدوا على الناس أبواب الرخاء، فلم يسدوا منها باباً إلاَّ فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت – ولا قوة إلاَّ بالله – أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل، فإنك لن تفتح باباً إلاَّ سد الله الكريم عنك باب بلاء يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أحد يكفيني عمله، فإنك إن كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم) وجاء فيها أيضاً: (فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شديداً

بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلاَّ بحقها، المال المال يا عمر والدم فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ثم لم تغيره) .

وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر إلى القبور ، فقال لي : يا أبا أيوب، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد خلت فيهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق، فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة، فلما دفنت قال لأصحابه: قفوا حتى آتي قبور الأحبة . فأتاهم فجعل يبكي ويدعو، إذ هتف به التراب، فقال: يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأحبة ؟ قال: قلت: وما فعلت بهم ؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحوم، وشدخت المقلتين، وأكلت الحدقتين، ونزعت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من المنكبين، والمنكبين من الصلب، والقدمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب وعمر يبكي . فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر، ألا أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال: وما هي ؟ قال: تقوى الله، والعمل الصالح .

وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكرا . قال : وفيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغير الريح، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب . قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه .

وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ وقفوهم إنهم مسئولون فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها .

وقالت امرأته فاطمة: ما رأيت أحدا أكثر صلاة وصياما منه، ولا أحدا أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه . قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة ؛ فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللحاف رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها.

وقال علي بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن ، وعمر بن عبد العزيز .وقال بعضهم : رأيته يبكي حتى بكى دما . قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) (الأعراف : ٥٤) ويقرأ : (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون) (الأعراف : ٩٧)، ونحو هذه الآيات، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بينهم جنازة .

وقال أبو بكر الصولي عن المبرد كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر:

فما تزود مما كان يجمعه ... سوى حنوط غداة البين في خرق
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق
بأيما بلد كانت منيته ... إن لا يسر طائعا في قصدها يسق

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة، إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس، وانحازوا إلى الظل، فبكى وأنشد :

مـن كـان حـين تصيب الشـمس جبهتـه ... أو الغبـار يخـاف الشـين والشـعثا
ويألـف الظـل كـي تبقـى بشاشـته ... فسـوف يسـكن يومـا راغمـا جـدثا
في قعـر مظلمـة غـبراء موحشـة ... يطيـل في قعرهـا تحـت الثـرى لبثـا
تجهـزي بجهـاز تبلغـين بـه ... يا نفـس قبـل الـردى لم تخلقـي عبثـا

وقال المفضل بن غسان الغلابي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خـير في عـيش امـرئ لم يكـن لـه ... مـن الله في دار القـرار نصـيب

وزاد غيره معه بيتا حسنا ، وهو قوله :

فـإن تعجـب الـدنيا أناسـا فإنهـا ... متـاع قليـل والـزوال قريـب

ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أنا ميـت وعـز مـن لا يمـوت ... قـد تيقنـت أنـني سـأموت
لـيس ملـك يزيلـه المـوت ملكـا ... إنمـا الملـك ملـك مـن لا يمـوت

وقال عبد الله بن المبارك :كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تسـر بمـا يبلـى وتفـرح بالمـنى ... كمـا اغـتر باللـذات في النـوم حـالم
نهـارك يا مغـرور سـهو وغفلـة ... وليلـك نـوم والـردى لـك لازم
وسـعيك فيمـا سـوف تكـره غبـه ... كـذلك في الـدنيا تعـيش البهـائم

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه ويعاتبها :

أيقظـــان أنـــت اليـــوم أم أنـــت نائـــم وكيـــف يطيـــق النـــوم حـــيران هـــائم
فلـــو كنـــت يقظـــان الغـــداة لحرقـــت مـــدامع عينيـــك الـــدموع الســـواجم
نهـــارك يا مغـــــرور ســـــهو وغفلـــــة وليلـــك نـــوم والـــردى لـــك لازم
بل اصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليـــك أمـــور مفظعـــات عظـــائم
وشـــغلك فيمـــا ســـوف تكـــره غبـــه كـــذلك في الـــدنيا تعـــيش البهـــائم

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك، قالت: انتبه عمر ذات ليلة، وهو يقول: لقد رأيت رؤيا معجبة . فقلت: أخبرني بها . فقال: حتى نصبح . فلما صلى الصبح بالمسلمين دخل فسألته عنها، فقال: رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر، وإذا فيها قصر كأنه الفضة ، فخرج منه خارج فنادى : أين محمد بن عبد الله ؟ أين رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺحتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمت – فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب، وهو عن يسار رسول الله ﷺ، وأبو بكر عن يمينه، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقلت لأبي: من هذا ؟ قال: هذا عيسى بن مريم . ثم سمعت هاتفا يهتف، بيني وبينه نور لا أراه، وهو يقول: يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه، واثبت على ما أنت عليه .

قال: ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر، وهو يقول: الحمد لله الذي نصرني ربي، وإذا علي في إثره، وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربي .

روي أن فاطمة بنت عبد الملك: " دخلت على عمر، فإذا هو في مصلاه، واضعاً رأسه على يديه، تسيل دموعه على خديه، يشهق الشهقة يكاد ينصدع قلبه لها، فما زال كذلك حتى أصبح، فقلت: يا أمير المؤمنين! ألشيء حدث؟! قال: يا فاطمة، إني نظرت فوجدتُني قد وليت أمر هذه الأمة أسودها وأحمرها، ثم ذكرت الفقير الجائع، والغريب الضائع، والعاري المجهود، والأسير المقهور، وذا المال القليل والعيال الكثير، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن رسول الله ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يقبل الله تعالى مني معذرة فيهم، ولا تقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة، فرحمت نفسي يا فاطمة".

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الورع العابد الزاهد التقي خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين .

بالعدل لا بالقهر يصلح الناس

كان أول مرسوم اتخذه، عزل الوزراء الخونة الظلمة الغشمة، الذين كانوا في عهد سليمان، استدعاهم أمامه وقال لشريك بن عرضاء: اغرُب عني يا ظالم رأيتك تُجلس الناس في الشمس، وتجلد أبشارهم بالسياط، وتُجوّعهم وأنت في الخيام والإستبرق .

وفي أحد المواقف كتب إليه واليه على خراسان واسمه الجراح بن عبد الله يقول: إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فكتب إليه عمر: أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام .

وذكر ابن الجوزي صور أخرى لعدل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .بينما عمر بن عبد العزيز يطوف ذات يوم في أسواق " حمص " ليتفقد الباعة ويتعرَّف على الأسعار، إذ قام إليه رجلٌ عليه بُرْدان أحمران قطريان

وقال:يا أمير المؤمنين.. لقد سمعت أنك أمرت من كان مظلومًا أن يأتيك .

فقال: نعم .

فقال: وها قد أتاك رجلٌ مظلومٌ بعيدُ الدَّار .

فقال عمر: وأين أهلك ؟

فقال الرجل: في "عدن "

فقــال عُمــر: والله، إن مكانــك مــن مكــان عمــر لبعيــد .
ثم نــزل عــن دابّتــه، ووقــف أمامــه وقــال : مــا ظلامتُــك ؟
فقال: ضيعةٌ لي وثب عليها رجلٌ ممن يلوذون بك وانتزعها مني .

فكتب عمر كتابًا إلى "عروة بن محمد " واليه على "عدن" يقول فيه: أمَّا بعد: فإذا جاءك كتابي هذا فاسمع بيِّنة حامله، فإن ثبت له حقٌّ، فادفع إليه حقَّهُ .ثم ختم الكتاب وناوله للرجل .

فلما هم الرجل بالانصراف قال له عمر: على رسلك.. إنك قد أتيتنا من بلدٍ بعيــدٍ .. ولا ريــب في أنــك اســتنفدت في رحلتــك هــذه زادًا كثــيرًا ..
وأخلقت ثيابًا جديدة .ولعلَّه نفقت لك دابةٌ .

ثم حسب ذلك كله، فبلغ أحد عشر دينارًا، فدفعها إليه وقال: أشع ذلك في الناس حتى لا يتثاقل مظلومٌ عن رفع ظُلامتِهِ بعد اليوم مهما كان بعيد الدَّار .

يقول الناس انه في عهد عمر بن عبدالعزيز ان الذئب يسرح مع الغنم فلا يأكلها من عدل عمر بن عبدالعزيز ، انه رد جميع المظالم الى اهلها، وكانو يطوفون بالزكاة فلا يجدون من يحتاجها ، وعم الرخاء والخير على المسلمين ، حتى انهم يرون الذئب يسرح مع الغنم ، فلا هي تجفل منه ولا هو يأكلها ، وذات يوم جفلت الغنم وعلا غبارها وكثر ثغاؤها ، وكانت هناك عجوز جالسه بظل بيتها فقالت ماذا حدث ، فقالوا لها الذئب هجم على الغنم واخذ واحدة ، فقالت ورب الكعبة لقد مات الاشج فحفظوا تلك اليوم والساعه ، فاذا هي ساعة موت ابن عبدالعزيز .

وقف الباحثون عند نقطةُ التحول في حياة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يوم أن فُتِحَتْ زخارف الدنيا كلُّها بين يديه، يأخذ ما يشاء ولا يحاسبه أحدٌ إلا الله، هذه اللحظة التي تضعُف فيها النفوس كانت نقطة الاستفاقة في حياة عمر، فخاف أعظم ما

يكون الخوف، وعدل أحسن ما يكون العدل، لقد خاف عمر ولم يكن خوفه إلا من الله، فلم يكن بينه وبين الله أحدٌ من الخَلْق يخشاه.

لذلك عندما وصل نبأُ موتِ الخليفة "عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى إمبراطور الروم الذي كان خَصمًا عنيدًا لدولة الإسلام، بكى بكاءً شديدًا أذهل حاشيته، فسألوه عن ذلك، فأجابهم بكلمات تُعتبر من أصدق وأجمع ما قِيل في تأبين الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال: ماتَ والله رجلٌ عادلٌ، ليس لعدله مثيلٌ، وليس ينبغي أنْ يَعجبَ الناس لراهبٍ ترك الدنيا؛ ليعبدَ الله في صومعته، إنما العجبُ لهذا الذي أتته الدنيا حتى أناختْ عند قدمه، فأعرض عنها.

جاء في كتب السير: " خرج عمر راكبًا ليعرف أخبار البلاد، فقابله رجل من المدينة المنورة فسأله عن حال المدينة، فقال: إن الظالم فيها مهزوم، والمظلوم فيها ينصره الجميع، وإن الأغنياء كثيرون، والفقراء يأخذون حقوقهم من الأغنياء، ففرح عمر فرحًا شديدًا وحمد الله، وهكذا رجل من ولد (زيد بن الخطاب) يقول: (إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفًا، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يبحث عمن يعطيه فما يجد، فيرجع بماله، قد أغنى الله الناس على يد عمر) " .

الفصل الرابع

الحالة الإجتماعية للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

- أولاده:

أشرف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على تربية وتعليم أولاده بنفسه ولم تشغله مسئولياته عن تنشئتهم التنشئة الصالحة، المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي ونستشف ذلك من خلال رسائله لهم، ولمن أوكل إليه تأديبهم إلى معلمهم ومؤدبهم مولاه سهل بن صدقة .

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يحرص على تنمية الأخلاق الفاضلة عند أولاده ويتحين الفرص لتحقيق ذلك ما استطاع، ففي سياق رسالته رضي الله عنه إلى ولده عبد الملك، وهو في المدينة ينهاه عن التفاخر والمباهلة في الكلام، والإعجاب بالنفس، والغرور والتعالي على الناس، فيقول له: .. وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك أو يخيل إليك إن ما رزقته لكرامة لك على ربك، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك .

أولى عمر رحمه الله تعليم وتأديب أولاده جانباً من الاهتمام، إذ اتبع إجراءات تعليمية جعل منها منهجاً جديراً يلبي حاجات الناشئ المسلم،ليكون موحد الذات والأهداف، غير منقسم على نفسه بين القول والعمل، أو بين الواقع والمثال، حيث تتضح معالم ذلك المنهج في رسالته رضي الله عنه إلى معلمهم.

فقد قال: من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى سهل مولاه. أما بعد: فإني اخترتك على علم منيّ بك لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك من غيرك من مواليّ وذوي

الخاصة بي، فحدثهم بالجفاء، فهو أمعن لإقدامهم، وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك، فإن كثرته يميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم، أن حضور المعازف واستماع الأغاني، واللهج بها ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشبَ الماء ولعمري لتوقي ذلك، بترك حضور تلك المواطن، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما

ينتفع به، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته، فإذا فرغ، تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافياً، فرمى سبعة أرشاق ، ثم أنصرف إلى القائلة.

كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أربعة عشر ذكراً منهم: عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبكر والوليد وموسى وعاصم ويزيد وزبان وعبد الله وبنات ثلاث: أمينة، وأم عمار، وأم عبد الله، وقد اختلفت الروايات عن عدد أولاد وبنات عمر بن عبد العزيز، فبعض الروايات تذكر أنهم أربعة عشر ذكراً كما ذكره ابن قتيبة، وبعض الروايات تذكر أن عدد الذكور اثنا عشر، وعدد الإناث ست كما ذكره ابن الجوزي والمتفق عليه من الذكور اثنا عشر، وحينما توفي عمر بن عبد العزيز لم يترك لأولاده مالاً إلا الشيء اليسير، وقد أصاب الذكر من أولاده من التركة تسعة عشر درهماً فقط، بينما أصاب الذكر من أولاد هشام بن عبد الملك ألف ألف (مليون)، وما هي إلا سنوات قليلة حتى كان أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس في سبيل الله في يوم واحد، وقد رأى بعض الناس رجلاً من أولاد هشام يتصدق عليه .

- زوجاته :

نشأ عمر بالمدينة، وتخلّق بأخلاق أهلها، وتأثّر بعلمائها، وأكبّ على أخذ العلم من شيوخها، وكان يقعد مع مشايخ قريش، ويتجنب شبابهم، ومازال ذلك دأبه حتى اشتهر، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدّمه على كثير منهم، وزوّجه، ابنته فاطمة بنت عبد الملك ، وهي امرأة صالحة تأثّرت بعمر بن عبد العزيز، وآثرت ما عند الله على متاع الدنيا، وهي التي قال فيها الشاعر:

أخت الخلائف والخليفة زوجها بنت الخليفة والخليفة جدها

ومعنى هذا البيت أنها بنت الخليفة عبد الملك بن مروان، والخليفة جدها مروان بن الحكم، وأخت الخلائف فهي أخت الخلفاء الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك، والخليفة زوجها فهو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حتى قيل عنها: لا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها وقد ولدت لعمر بن عبد العزيز إسحاق ويعقوب وموسى، ومن زوجاته لميس بنت علي بن الحارث، وقد ولدت له عبد الله وبكر وأم عمار، ومن زوجاته أم عثمان بنت شعيب بن زيان، وقد ولدت له إبراهيم. وأمّا أولاده: عبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله فأمهم: أم ولد.

الفصل الخامس

مواقف في حياة الخليفة العادل

عمر بن عبد العزيز وزوجته فاطمة

عندما تولَّى"عمر" الخلافة نَظَرَ في بيت مال المسلمين، ثم نظر إلى ما في يده، ثم نظر إلى ما في يد أمراء بني أُميَّة، فماذا فعل يا تُرى؟

بدأ بنفسه، فدعا زوجه فاطمة ابنةَ الخليفة عبدالملك بن مروان، وزوجةَ الخليفة عمر بن عبد العزيز، وأختَ الخلفاء الأربعة: الوليد، وسليمان، ويَزِيد، وهشام، هم خلفاء بحكم الوراثة، فسألها عمر سؤالاً، قال لها: اختاري يا فاطمة، قالت :أيَّ شيءٍ اختار يا أمير المؤمنين؟

قال لها: إما أن تختاري الذهب والجواهر والزُّمُرُّد ومتاع الدنيا، وإما أن تختاري عمر بن عبدالعزيز، نَعَمْ، خَيَّرَها عمر بين نفسه وبين ما تملك من زينة زُفَّتْ بها؛ لأنها بنت الخليفة.

قالت فاطمة: والله لا أختار عليك أحدًا يا أمير المؤمنين، هذا ذهبي، وتلك ثياب زفافي المرصَّعة بالماس والزُّمُرُّد، ثم قالت :إلى أين تريد الذهاب بها يا عمر؟ قال: سأذهب بها إلى بيت مال المسلمين؛ لتكون للفقراء والمساكين!

وعندما مات عمر، وتولَّى الخلافة بعده" يزيد بن عبدالملك "أخو فاطمة، فقال لها: يا فاطمة، أنا أعلم أنَّ عمر أخَذَ مالك كلَّه، ووضعه في بيت المال، أتأذنين أنْ أعيدَه إليك؟ فقالت : ماذا تقول يا يَزِيد؟! أتريد أن آخذَ شيئًا وضعه عمر في بيت

مال المسلمين؟! فو الله الذي لا إله إلا هو، لن أعطيه حيًّا وأغضبه ميِّتًا أبدًا، وما غادرتْ بيتها قط بعد عمر، حتى وافتها المنيَّة - رضي الله عنها.

موقف عمر بن عبد العزيز والحجّاج بن يوسف الثقفي

كان الحجاج بن يوسف الثقفي يرى أن الأمويين أصحاب كفاية فى الحكم، وأنهم الأجدر و الأولى بسياسة أمور الناس.

وقد لا يستغرب هذا من الرجل الذي وجد لنفسه مكانا ومكانة في تلك الدولة، وتولى في عهدها ولاية العراق التي كانت مركز المشرق كله، ليكون حاكم البقاع الممتدة ما بين العراق ونهايات الثغور في أسيا الوسطي.

وكان الحجاج في ولايته يعرف بأنه ديكتاتورا وطاغية، و ضاق الناس به وبقسوته ذرعا، غير أن خلفاء بنى أمية، عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عبد الملك كانوا يرون فيه المدافع الأول عن توطيد سلطانهم، فأطلقوا له العنان وأعطوه كافة الصلاحيات بطريقة لم تتح لغيره من الولاة. وفي ظل غياب الرقابة والمحاسبة، طغى الحجاج واستبد وأخذ الناس بالشبهات، وأعمل السيف فى كل من تسول له نفسه الخروج على حكم الأمويين أو الاعتراض على سلوكياته هو شخصيا .

وبسبب سياسات الحجاج القمعية والظالمة والمتجاوزة لكافة تعاليم السماء وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، كانت الكراهية والجفوة بينه وبين الرجل الصالح في العائلة الأموية، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

لقد كان الحجاج يخشى من ظهور أشج بني أمية الذي يعدل، ولما تأكد له أنه عمر بن عبد العزيز حقد عليه حقدا شديدا، وصار يتحين الفرصة المناسبة للإيقاع به عند الخليفة، وقد واتته تلك الفرصة، وذلك أنه بعد زيارة الوليد للمدينة غضب أهلها عليه لأسباب كثيرة منها: أنه جرهم وراءه مشيا لدعوتهم إلى الفداء بذي خشب،

ومنها أنه أراد إخلاء المسجد من الناس حتى يكون له وحده ساعة دخوله، ومنها أنه وزع الأموال على الأغنياء وترك الفقراء ، فعندما علم أهل العراق بغضب أهل المدينة لجئوا إليهم فارين من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي، وزاد الأمور تعقيدا أن الوليد جعل الحجاج أميرا على الحج فكان لا بد من مروره على المدينة وأهل المدينة لا يحتملون رؤيته ففزعوا إلى عمر في ذلك ، فكتب إلى الوليد بتنحية الحجاج عن طريق المدينة وعدم مروره عليها فقبل الوليد خوفا من ثورة الناس .

فكانت فرصة الحجاج بأن كتب إلى الوليد بعد ذلك أن كثيرا من أهل العراق ومُرّاقيه قد لجئوا إلى المدينة ومكة وأن ذلك وهن وضعف، وما زال الحجاج بالوليد حتى أوغر صدره على عمر فقرر عزله عن إمارة المدينة .

جاءه خبر عزله عن المدينة وأقبل الوالي الجديد الذي سيلي المدينة بعده وهو عثمان بن حيان المري وهو يتهددهم ويتوعدهم وأرسل حراسه يبحثون عن العراقيين ويسوقونهم إلى السجن، أما عمر فقد خرج ليلا من المدينة هو ومزاحم خفية عن أعين الناس وتذكر حين خروجه قول رسول الله ﷺ: " والذي نفس محمد بيده ما خرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه أو ماله "، وتذكر أيضا قوله ﷺ: " المدينة تنفي خبثها "، فاضطرب وقال: يا مزاحم: نخاف أن نكون ممن نفت المدينة .

وفي الموطأ بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين خروجه من المدينة التفت إليها ثم بكى وقال: يا مزاحم: أتخشى أن نكون ممن نفته المدينة .

قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم .

وواصـل عمـر بـن عبـد العزيـز رضـي الله عنـه رحلتـه حـتى وصـل قرب دمشق وأقام بالسويداء بمقاطعة له بعيدا عن الضوضاء .

ذكر ابن الجوزي أن عمر بن عبد العزيز قد استعفى من المدينة كما مرّ ذكره، ولكن ذكر غيره أنه عُزِل عنها، ففي سنة ٩٢هـ عقد الخليفة الوليد لواء الحج للحجاج بن يوسف الثقفي ليكون أميراً على الحج، ولما علم عمر بن عبد العزيز بذلك، كتب رحمه الله تعالى إلى الخليفة يستعفيه أن يمرَّ عليه الحجاج بالمدينة المنورة؛ لأن عمر بن عبد العزيز كان يكره الحجّاج، ولا يطيق أن يراه، لما هو عليه من الظلم، فامتثل الوليد لرغبة عمر، وكتب إلى الحجّاج: إن عمر بن عبد العزيز كتب إليَّ يستعفيني من ممرك عليه، فلا عليك ألاّ تمر بمن كرهك فتنحّ عن المدينة، وقد كتب عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو والٍ على المدينة إلى الوليد بن عبد الملك يخبره عما وصل إليه حال العراق من الظلم والضيم والضيق بسبب ظلم الحجّاج وغشمه، مما جعل الحجّاج يحاول الانتقام من عمر لاسيما وقد أصبح الحجاز ملاذاً للفارين من عسف الحجاج وظلمه؛ إذ كتب الحجّاج إلى الوليد: إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الثقاف قد جلوا عن العراق، ولجؤوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن. فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حبان، وخالد بن عبد الله القسري، وعزل عمر عبد العزيز ، وقد كان ميل الوليد لسياسة الحجّاج واضحاً، وكان يظن بأن سياسة الشدة والعسف هي السبيل الوحيد لتوطيد أركان الدولة، وهذا ما حال بينه وبين الأخذ بآراء عمر بن عبد العزيز ونصائحه، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن ما كان يراه عمر أفضل مما كان يسير عليه الوليد، وذلك بعد تولي عمر الخلافة وتطبيقه لما كان يشير به.

فقال له عمر بن العزيز: يكفيني ان الحجاج بن يوسف كان عنك راضياً!!

وكمعلم من معالم رفض عمر بن عبد العزيز للحكم الاموي من قبله هو موقفه من اهم وابرز رموز هذا النظام وهو الحجاج بن يوسف الثقفي. وكان معروفاً بالظلم وسفك الدماء وانتقاص السلف وتعدي حرمات الله بأدنى شبهة، وقد أطبق أهل العلم بالتاريخ والسير على أنه كان من أشد الناس ظلما، وأسرعهم للدم الحرام سفكا، ولم يحفظ حرمة رسول الله ﷺ في أهل بيته أو أصحابه، ولا في أهل العلم والفضل والصلاح من أتباع أصحابه.

قال ابن كثير رحمه الله: كان جبارا عنيدا، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة. وروى الترمذي في سننه عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: " أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ ".

كان تقييم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تقييما سيئا الى اقصى درجة بالحجاج فقد روي عنه انه قال: لو تخابثت الأمم وجئتنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسننه، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع " .

لقد فرح المسلمون بموت الحجاج بن يوسف الثقفي، ونقلت لنا كتب التاريخ قصة سجود الحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز شكراً لله على موته، ولما أُخبر إبراهيم النخعي بموته بكى من الفرح، ولما بُشِّر طاووس بموته فرح وتلا قول الله تعالى: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وما كانوا يدرون من يحكمهم بعده. أ.هـ مع العلم بأن الإمام الحسن البصري رحمه الله كان ممن يُشدد في عدم الخروج علي الحكام .

ابن الجوزي قال: قال عباد بن إسحاق، عن الزهري، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أن الأمم تخابثت فجاءوا بأخبثها رجلا، وجئنا بالحجاج، لظننا أنا سنغلبهم، وفى رواية: "إذا أتت قوم فارس بأكاسرتها والروم بقياصرتها أتينا بالحجاج فكان عدلا بهم" وإني لأظن كلمة تنجيه عندي قوله عند الموت: رب اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي .

وقال: حدثنا ... عن إبراهيم بن هشام، قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: – يعني عمر بن عبد العزيز– ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل وفى رواية عند ابن عساكر عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: قال لي عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بأبي محمد لفتناهم فقال رجل من آل أبي معيط لا تقل ذلك فوالله إن وطأ لكم هذا الأمر الذي أصبحتم فيه غرة فقال عمر: أتحب أن يدخلك الله مدخل الحجاج؟ قال إي والله إني لأحب أن يدخلني الله مد خلا ولا يدخلني مدخلك فقال عمر: أمنوا اللهم أدخله مدخل الحجاج .

وكان أول ما فعله الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين توليه الخلافة هو عزل كل القضاة الذي كانوا في عهد الحجاج بن يوسف وقام بتعيينهم.[1]

---

* أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي(٤٠ ٩٥ – هـ/ ٦٦٠ . ٧١٤ م)، قائد في العهد الأموي، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره.

امره عبد الملك بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم اضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى الكوفة في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة.

بنى مدينة واسط. ومات بها، وأجري على قبره الماء، فاندرس. وكان سفاكا سفاحا مرعبا باتفاق معظم المؤرخين. عُرف بالمبير أي المبيد. أصيب الحجاج في آخر عمره بما يظهر أنه سرطان المعدة. وتوفي بمدينة واسط في العشر الأخير من رمضان ٩٥ هـ (٧١٤

موقف عمر بن عبد العزيز مع الخوارج، والمرجئة، والجهمية

الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هذا الرجل الذي ملأ الدنيا عدلا، كانت له سياسته الخاصة وأسلوبه الحكيم في اصلاح المجتمع وتفكيك جذور التطرف والإرهاب والإنحراف الفكري واحدا تلو الآخر رغم قصر فترة خلافته التي استمرت قرابة السنتين والخمسة شهور.

لقد رأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في استبعاد منطق القوة والقهر والإستبداد في إصلاح المجتمع واستقراره مع معارضيه في مقابل استخدام لغة الحوار والإقناع ورفع الغطاء عن البخار المحبوس قبل أن يتحول إلى قذائف وأعمال إجرامية يمطر بها المجتمع هنا وهناك، الدرب الأمثل في استيعاب الخارجين عن القانون والمروعين لأهل البلاد.

من معالم حكم هذا الخليفة إنه اعتمد الحوار منهجا مع الخصوم. وكان يومذاك الخوارج أخطر الخصوم للدولة لأنهم يتساهلون بالتكفير وسفك الدماء ويمتازون

م)، قال محمد بن المنكدر: كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: «اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل». وروى الغساني (لم أعرفه) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على: حبه القرآن وإعطائه أهله عليه، وقوله حين حضرته الوفاة: "اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل"».
وقال الأصمعي: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا   بِأَنَّنِي رَجُلٌ مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ؟ وَيْحَهُمُ   ما عِلْمُهُمْ بكريم العَفْوِ غَفَّارِ؟

قال ابن كثير فيه: "كان فيه شهامة عظيمة وفي سيفه رهق (الهلاك والظلم)، وكان يغضب غضب الملوك...وقال أيضاً: وكان جباراً عنيداً مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة، وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها ولكن يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه...،وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم، ولم يُشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء. فلا نكفر الحجاج، ولا نمدحه، ولا نسبه ونبغضه في الله بسبب تعديه على بعض حدود الله واحكامه، وأمره إلى الله" .

بالشجاعة والإقدام والتسرع في إعلان الثورات. حاول هذا الرجل أن يفتح معهم صفحة حوار حقنا للدماء .

تجربته رضي الله عنه مع إرهاب الخوارج وانحراف فكرهم الذين عاثوا في الأرض فسادا منذ مقتل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه على أيديهم، كانت تجربة فريدة أفضت عن ذكاء خارق ومعرفة دقيقة بطبيعة النفس البشرية، أدت إلى أن يضع الخوارج أسلحتهم للمرة الأولى في عهده بينما استعصوا على خلفاء بني أمية الذين سبقوه في الحكم، فكان انتصارا سجله التاريخ لهذا الخليفة العادل .

خرجت إحدى فرق الخوارج في الأيام الأولى لخلافته مستأنفة تمردها المسلح، فأرسل إلى زعيمها كتابا يقول فيه: " أما بعد فقد بلغني أنك خرجت غضبا لله ورسوله .. ولست أولى بذلك مني.. فهلم أناظرك.. فإن يكن الحق معنا، تدخل فيه، وإن يكن الحق معك، نراجع أنفسنا وننظر في أمرنا .

فما لبث الزعيم الثائر بعد أن قرأ رسالة الخليفة إلا أن شعر بالخجل من نفسه أمام منطق الخليفة الجديد، فأرسل وفدا يفاوض الخليفة، فكانت النتيجة أن ألقت هذه المجموعة أسلحتها، وتراجعت عن فكرها وعادت لتمارس حياتها الطبيعية بين أفراد المجتمع بكل رغبة واقتناع. لا شك أنه منطق العدل الذي جبلت الفطرة البشرية على الميل إليه، والالتفاف حول كل من يرفعه شعارا.

ومع مجموعة أخرى من الخوارج ساحت في الأرض تنشر أفكارها وآرائها الفاسدة تسمى "حرورية الموصل"، أرسل إليه حاكم الموصل يستأذنه في قمعها وإسكاتها، فأرسل الخليفة عمر للوالي كتابا يقول فيه: " إذا رأو أن يسيحوا في البلاد في غير أذى لأهل الذمة .. وفي غير أذى للأمة.. فليذهبوا حيث شاءوا، وإن نالوا أحدا من المسلمين، أو من أهل الذمة بسوء، فحاكمهم إلى الله" .

هكذا كان يرى الخليفة أن لا حق له في الحجر على آراء الآخرين ولا الوصاية عليها رغم المقدرة على ذلك فهو كان ينظر إلى حلول جذرية تنهي أساس المشكلة بدلا من الوقوف عند حلول آنية هي أشبه بالمسكنات، وهذا هو المنهج الشورى والحوار الراشد الذي كان يتبناه عمر بن عبد العزيز، وكلما طولب باستخدام القوة كمنهج سريع لقطع دابر الفكر الإرهابي في البلاد كان رده من القرآن الكريمأفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقوله تعالى: (وما أنت عليهم بجبار) وقوله تعالى: (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر).

عمر بن عبد العزير رضي الله عنه كان يدرك تماما أن آخر الدواء هو الكي، ولكن ليس هو أوله على الاطلاق، فقدم رحمه الله منطق التعامل بالعدل والحرية في التعبير والشورى والإقناع حتى مع خصومه. كتب له والي خراسان يستأذنه في أن يرخص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلا في رسالته للخليفة:" إنهم لا يصلحهم إلا السيف والسوط" . فكان رده التقي الحازم المبني على فهم دقيق للأسلوب الأمثل في التعامل مع إرهاب الفرد والجماعة:"كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين"، فهذا منهج وفقه عمر بن عبد العزيز في التعامل مع المعارضين من الخوارج.. رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد أتعب من بعده من حكام المسلمين، ولقد كان قربه من كتاب الله وهدي نبيه وتربيته الصالحة سببا في نجاحه الباهر في إدارة دولة خلت من الإرهاب وغدا فيها العدل والخير والحق ملكا للجميع.

فبالإضافة إلى الموقف الذي مرّ ذكره آنفاً. وردت روايات توضّح الموقف نفسه، فعن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد أرسل إليه بالظهيرة، فوجده قاطباً بين عينيه، قال: فجلست وليس عنده إلا ابن الريان، قائم بسيفه، فقال: ما

تقول فيمن يسب الخلفاء؟ أترى أن يقتل؟ فسكت، فانتهرني، وقال: مالك؟ فسكت، فعاد لمثلها، فقلت: أقتَلَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنه سب الخلفاء قلت: فإني أرى أن ينكّل، فرفع رأسه إلى ابن الريان، فقال الوليد: إنه فيهم لتائه.

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه في الخوارج : إنْ كان مِن رأي القوم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة، ولا على أحد من أهل الذمة، ولا يتناولون أحداً، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين، فليذهبوا حيث شاؤوا، وإنْ كان رأيهم القتال فوالله لو أن أبكاري مِن ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين لأرقت دماءهم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة.

قال ابن عبد الحكم: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج: منْ عبد الله عمرْ أمير المؤمنين إلى هذه العصابة، أما بعد: أوصيكم بتقوى الله فإنه (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ * وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهَوَ حَسَبُه إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)(الطلاق: ٢،٣). أما بعد: فقد بلغني كتابكم والذي كتبتم فيه إلى يحي بن يحي، وسليمان بن داود الذي أتى إليهما وإن الله تبارك وتعالى يقول: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(الصف: ٧)، وقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل: ١٢٥)، وقال تعالى:(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(محمد: ٣٥)، وإني أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وادعوكم أن تدعو ما كانت تهراق عليه الدماء قبل يومكم هذا بغير قوة ولا تشنيع، وأذكركم بالله أن تشبهوا علينا كتاب الله وسنة نبيه، ونحن ندعوكم

إليهما،هذه نصيحة منا نصحنا لكم فإن تقبلوها فذلك بغيتنا، وإن تردوها على من جاء بها فقديماً ما استغش الناصحون، ثم لم نر ذلك وضع شيئاً من حق الله قال العبد الصالح لقومه:(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود:٣).

وقال الله عز وجل:(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨) .

عن ابن سعد قال: أخبرنا سعيد بن عارم عن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: "فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا.

وهنا يتبين من الآثار الواردة أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان حريصا على رد البدع كلها، حتى ولو أدى ذلك إلى أن يضحي بأعضائه كلها، وقد بين في تلك الآثار القول الصحيح في الإيمان وأنه يشمل العبادات كلها. وأولى عناية خاصة بشعبه، ووعد بأنه إن عاش فسيحمل رعيته عليها، ففي هذا المأثور عنه بيان للقول الصحيح في الإيمان كما أن فيه الرد على بدعة الإرجاء، لأن إحقاق الحق إبطال للباطل، وهذا المأثور عنه هو الحق الثابت عنه في مسألة الإيمان.

ومن الآثار أيضا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، التي تعد ردودا عامة على الجهمية وغيرها من الفرق الضالة التي شذت عن عقيدة أهل السنة والجماعة وقد أوردها علماء السلف ضمن ردودهم عليهم كالإمام أحمد، والدارمي، وغيرهما من علماء السلف وهي كما يلي:

عن الفريابي قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا معاوية بن هشام، ثنا سفيان عن جعفر بن برقان، قال: جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فسأله عن بعض الأهواء فقال: انظر دين الأعرابي والغلام في الكتاب فاتبعه واله عما سوى ذلك .

وعن ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .

قال عبد الله بن عبد الحكم فسمعت مالكا يقول: وأعجبني عزم عمر في ذلك .

ذكر ابن أبي الدنيا قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حماد ابن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل .

كما روى اللالكائي قال: وذكر عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أحمد ابن عمرو بن عيسى قال: ثنا عيسى بن عمرو البصري، قال: ثنا سليمان ابن عيسى الشجري، قال: ثنا سهل الحنفي، عن مقاتل بن حيان، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل بلخ، فقال: كم بينك وبين النهر؟ قلت: كذا وكذا فرسخا. فقال: هل ظهر من وراء النهر رجل يقال له جهم؟ قلت: لا. قال: سيظهر من وراء النهر رجل يقال له جهم يهلك خلقا من هذه الأمة، يدخلهم الله وإياه النار مع الداخلين .

فكان نهجه رضي الله عنه مع الخوارج فإنه سار معهم سبل السلام وفتح لهم سبل حرية الرأي وإقناعهم بقوة البراهين والحجج، فحدث حوار وتفاوض بينه وبين الخوارج إلى الحد النهائي فشهد أحد الخوارج بأن على الحق بعد ما جرى بينهم وبينه في نقاط مناقشات لهدف الصلاح والإرضاء، وهذه كانت من ضمن السياسات الحكيمة والأساليب القيمة لدى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز التي كان يتبعها لاسترجاع قلوب مناوئي الدولة، فتعلقت به قلوبهم وأسكت أصواتهم الثورية طيلة عصره .

سياسات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الحكيمة الوحيدة حيال الناس جميعاء، بأنهم راضون عن حكمه وعدل خلافته، ولم تخرج عليه طائفة من الناس إلاً سار معهم بحسن السير من غير المجابهة بالسيف وقوة السلاح الذي اعتاد عليه السابقون، وقد بلغت الدولة الأموية في عهده أوج التمدن ونمو الحضارة، فضلا عن كونهم على أجواء الإستقرار والأمن في ظل الخليفة الراشد الخامس، بالرغم أن مدة خلافته قصيرة حوالي سنتين وبضعة أشهر .

استطاع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استرجاع توحيد الأمة بعد أن كان مفترقا، حتى الخوارج انضموا تحت لواء قيادة هذا الخليفة ولم يخالفوه وهم أكبر المخالفين كما يقولون: (ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل) يعني عمر بن عبد العزيز، لعب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دورا سياسيا هاما في توحيد الناس على كلمة واحدة .

أما الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيزرضي الله عنه في هذا الشأن عامة كما أوردها علماء السلف في ردهم على الجهمية، ولاشك أنها تعتبر ردا على جميع المبتدعة، وذلك في أمره رضي الله عنه بالتمسك بما تدل عليه الفطرة من إثبات ما

للخالق من صفات الكمال ونعوت الجلال، كإثبات الفوقية والعلو، وغير ذلك مما تدل عليه الفطرة السليمة. وكذلك أمره بالنهي عن الخصومات في الدين بغير علم، ولم يقع جهم فيما وقع فيه إلا بسبب الخصومات فيما لا علم له به، فضل وأضل .[٢]

---

*الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وهم جماعة سياسية دينية قامت في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه، وهم لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين بل خارجين من أجل الدين، ومن أجل إقامة شرع الله، غير مبالين بما يحدثه ذلك الخروج من فرقة وانقسام وأحداث دامية، وهم مجاهرون بدعوتهم، متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير مبالين بما يؤدي إليه تطبيق هذا المبدأ، من قتل المخالفين سراً أو علناً، ولقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه، حتى أصبح علامة من علاماتهم، وراموا إلى إقامة دولة إسلامية تقوم على الدين وأحكامه. ولقد أطلقت عليهم عدة أسماء وألقاب، منها: خوراج، وحرورية، وشراة، ومارقة، ومحكّمة، والسبب الذي من أجله سموا خوارج لأنهم لم يرجعوا مع علي إلى الكوفة واعتزلوا صفوفه ونزلوا بحروراء في أول أمرهم، وسموا شراة لأنهم قالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة، وسموا مارقة، وذلك للحديث النبوي الذي أنبأ بأنه سيوجد مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية، إلا أنهم لا يرضون بهذا اللقب، وسموا محكمة لإنكارهم الحَكَمين)عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري(و قالوا لا حكم إلا لله . ولقد توالت الأحداث بعد ذلك بين علي والذين خرجوا عليه، ومحاولته إقناعهم بالحجة، ولكنهم لم يستجيبوا، ثم قيام الحرب وهزيمتهم وهروبهم إلى سجستان واليمن، وبعثهم من جديد وتكوين فرق كانت لها صولات وجولات من حين لآخر على السلطة القائمة.

*الحرورية فرقة إسلامية ظهرت واشتد أمرها في عهد علي بن أبي طالب. سموا الحرورية نسبة إلى بلدة حروراء في الكوفة وكانت مركز خروجهم، على علي بن أبي طالب.

غلت الحرورية في إثبات الوعيد والخوف على المؤمنين التخليد في النار مع وجود الإيمان، هم أحد فروع الخوارج، مضادون للمرجئة في النفي والإثبات والوعد والوعيد، ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج أنه كافر وليس بمشرك.

* المرجئة هم فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، خالفوا رأي الخوارج وكذلك أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقدية، وقالوا بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها. وهم يستندون في اعتقادهم إلى قوله تعالى (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الآية ١٠٦ سورة التوبة والعقيدة الأساسية عندهم عدم تكفير أي إنسان، أيا كان، ما دام قد اعتنق الإسلام ونطق بالشهادتين، مهما ارتكب من المعاصي، تاركين الفصل في أمره إلى الله تعالى وحده، لذلك كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

* المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد لعبت دوراً رئيسياً سواء على المستوى الديني والسياسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية، وتم تأسيسها على يد واصل بن عطاء، ومن أبرز مفكريها: أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١٣٥–٢٢٦ هـ) مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها.

موقف عمربن عبد العزيز من الشعراء

أتى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في أعقاب فترة ضمرت فيها الرؤية الإسلامية للشعر، ففرطت طائفة من الشعراء في حق الكلمة، وأمانة القول؛ لأنهم لم يجدوا مَن يأخذ على أَيديهم بحزم، ويكفهم عن السفه والعبث بالقِيَم والأخلاق؛ بل وجدوا في أحيان من يضحك لسفههم وعبثهم؛ بل يُكافئهم على هذا السفه، وهذا العبث، وجاء عمر فكان طرازا من الناس فريدا، ترسم مراسم الراشدين، فكان بحق أحدهم في القول والعلم، حتى عد خامس الخلفاء الراشدين .

نظر الخلفاء الأمويون في أمر الشعر رواية و استنشاداً ونقداً، وكانوا يثيبون أو يحرمون، ولا سيما معاوية وعبد الملك، فقد ولي كل منهما الخلافة قرابة عشرين سنة استقرت بهما الحال فازدهرت المجالس الأدبية في عهديهما،وكثيراً ما مزجت تلك المجالس الأدب بالسياسة والخلافة، فقامت الأحكام والمفاضلات بين الشعراء على ضوئها أو لخدمتها ، وكان للمعارضة ونشاطها الدور في إذكاء النشاط النقدي والأدبي فيها حيث تقوم المنافسة على زعامة الرواية والأدب قيامها على الزعامة والخلافة .

أما عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خفتت فيه حدة المعارضة، ولم يكن الخليفة يعبأ بشعر المديح وعقد مجالس للشعر والشعراء، أقبل الشعراء على عمر بن عبدالعزيز عند توليه الخلافة، وهم يظنون الرجل مثل غيره، عاشق مدح وثناء، يستأكل بالنفخ والإطراء، يعطيهم مِن مال المسلمين، وإن كانوا ممن لا يجوز فيه العطاء، إذ اهتم بأمر الرعية وبتنظيم بيت المال ما ينفق منه وما يرد إليه، وأجهد نفسه في إعادة التوازن الذي اختل بين الدنيا والآخرة فأكثر من تزهيد الناس ونفسه أولاً

بالدنيا والترغيب بالآخرة وحث الناس على القناعة بما في أيديهم وشرع أولاً بأقاربه وأهل بيته فأعاد أموالاً طائلة منهم إلى بيت المال سماه(المظالم) وشرح لعمته فاطمة بنت مروان نهجه الاقتصادي بقوله:

" إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمة، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم، و لن يروي أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه .

ومن هذه النظرة إلى مال المسلمين انصرف عن المديح وشعرائه، فحجب نفسه وعطاءه عنهم حتى قال مسلمة بن عبد الملك لوفود الشعراء:

" أما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئاً " .

حفاظاً على النهر الأعظم الذي صرح للشعراء بأنه لن ينفق منه إلاّ على وفق قوله تعالى : " إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلوبهم وفي الرقابِ والغارمينَ وفي سبيل اللهِ وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم " .

ولا عجب في هذه السياسة تجاه شعراء المديح وحجب نفسه عنهم فهي سياسة جده الفاروق بل هي سياسة الراشدين جميعاً .

وعلى نحو ما أعاد المظالم إلى بيت المال، حاول إعادة الشعر والشعراء إلى نهر العقيدة ليردواعذبه فيصدروا عنه بقيم تنسجم مع ما أحدثه الإسلام في نفسه ونفوس المؤمنين ليعيد الموازنة بين الدنيا والآخرة ،قال لدُكَين الراجز:

"إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا(يعني الخلافة) فنفسي تتوق إلى الآخرة " .

ولقد أدرك الشعراء ذلك منه فقال كثير عزة بعد أن حجب من الدخول عليه:

لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً فسمعت خطبة له يقول فيها": لكلِ سفرٍ زادٌ لا محالةَ ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى ،وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من ثوابه وعقابه طلباً لهذا وخوفاً من هذا ،لا يطولنَّ عليكمُ الأمدُ فتقسوَ قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم ،واعلموا أنه إنما يطمئنُ بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة ،فأما من لا يداوي جرحاً إلاّ أصابهُ جرحٌ من ناحيةأُخرى فكيف يطمئن بالدنيا! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، وتبدو عيْلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق" .

وأدرك بعد سماعه الخطبة أن ما أعده من شعر على غرار ما كان يعده للخلفاء السابقين لن يجد أذناً صاغية من الخليفة الزاهد ،فقال للأحوص الأنصاري ونصيب بن رباح: " جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه ،فليس الرجل بدنيوي" .

مِن أكثر خلفاء بني أمية، الذين أُثِرَتْ عنهم أقوال ومواقف، تتعلق بالشِّعر

والشُّعراء: عبدالملك، ومعاوية، ثم عمر بن عبدالعزيز، وقد ترك عمر آراء، وكانت له وقفات مع أرباب الكلمة، تدل على بصر بفن القول، وقدرة على النفاذ إلى أسراره ودقائقه، وتدل على إحساس الخليفة العادل رحمه الله بدور الشعر، وما يمكن أن يكونَ لأربابِ البيان مِن أثر إيجابي أو سلبي.

أتى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في أعقاب فترة عجت فيه الاضطرابات ربوع البلاد وكثرت فيها الفتن وضمرت فيها الرؤية الإسلامية للشعر، ففرطت طائفة

من الشعراء في حق الكلمة، وأمانة القول؛ لأنهم لم يجدوا من يأخذ على أيديهم بحزم، ويكفهم عن السفه والعبث بالقيم والأخلاق؛ بل وجدوا في أحيان من يضحك لسفههم وعبثهم؛ بل يكافئهم على هذا السفه، وهذا العبث، وجاء عمر فكان طرازا من النّاس فريدا، ترسم مراسم الراشدين، فكان بحق أحدهم في القول والعلم، حتى عُدَّ خامس الخلفاء الراشدين.ذكر بهاء الدين الأبشيهي في كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف):

{ أنه أقبَل الشعراء على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه عند توليه الخلافة، وهم يظنون الرجل مثل غيره، عاشق مدح وثناء، فمنعهم الدخول وأبقاهم شهرًا، لا يأذن لهم، ثم سأل عنهم واحدًا واحدًا،روى ابن الكلبي قال: لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن أرطأة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال:

يا أيهـــا الرجـــل المزجـــى مطيتـــه	هـــذا زمانـــك إني قـــد خـــلا زمـــني
أبلـــغ خليفتنـــا إن كنـــت لاقيـــه	أني لـــدى البـــاب كالمشـــدود في قـــرن
لا تـــنس حاجتنـــا لاقيـــت مغفـــرة	قـد طـال مكثـي عـن أهلـي وعـن وطـني

فقال: نعم يا أبا عبد الله، فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك، وألسنتهم مسمومة، وسهامهم صائبة،فقال عمر رضي الله عنه: ما لي وللشعراء !!

فقال: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺمدح فأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم.

قال: صدقت، فمن بالباب منهم؟

قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي

قال: لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه، أليس هو القائل:

ألا ليتـــني في يـــوم تـــدنو منيـــتي ... شممت الـذي مـا بـين عينيـك والفـم
وليـــت طهـــوري كـــان ريقـــك كلـــه ... وليـت حنـوطي مـن مشاشـك والـدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي ... هنالـــك أو في جنـــة أو جهـــنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا، ثم يعمل عملاً صالحاً، والله لا يدخل علي أبداً، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟

قال جميل بن معمر العذري

قال: أليس هو القائل:

ألا ليتنـــا نحيـــا جميعـــاً فـــإن نمـــت ... يـوافي لـدى المـوتى ضـريحي ضـريحها
فمـــا أنا في طـــول الحيـــاة براغـــب ... إذا قيـل قـد سـوي عليهـا صـفيحها
أظـــل نهـــاري لا أراهـــا وتلتقـــي ... مـع الليـل روحـي في المنـام وروحهـا

والله لا يدخل علي أبداً، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟

قال: كثير عزة

قال: أليس هو القائل:

رهبـــان مـــدين والـــذين عهـــدتهم ... يبكـــون مـــن حـــذر الفـــراق قعـــودا
لـــو يســـمعون كمـــا سمعـــت حـــديثها ... خـــروا لعـــزة ركعـــاً وســـجودا

أبعده الله، فو الله لا يدخل علي أبداً، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟

قال: الأحوص الأنصاري

قال: أبعده الله، والله لا يدخل علي أبداً، أليس هو القائل؟ وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه:

الله بيني وبين سيدها ... يفر مني بها واتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟

قال: همام بن غالب الفرزدق.

قال: أليس هو القائل يفتخر بالزنا في قوله:

هما دلياني من ثمانين قامة ... كما انقض باز لين الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحي فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأجراس لا يفطنوا بنا ... ووليت في أعقاب ليل أبادره

والله لا دخل علي أبداً، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟

قال: الأخطل التغلبي. قال: أليس هو القائل:

ولست بصائم رمضان عمري ... ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عيساً بكوراً ... إلى أطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو ... قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً ... وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عني، فو الله لا دخل علي أبداً، ولا وطىء لي بساطاً، وهو كافر، فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت؟

قال: جرير.

قال: أليس هو القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد، فهذا، فأذن له ... قال عدي بن أرطأة: فخرجت فقلت

ادخل يا جرير، فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمداً ... جعل الخلافة في الإمام العادل

وسع الخلائق عدله ووقاره ... حتى ارعووا وأقام ميل المائل

إني لأرجو منه خيراً عاجلاً ... والنفس مولعة بحب العاجل

والله أنزل في الكتاب فريضة ... لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال: يا جرير اتق الله ولا تقل إلا حقاً، فأنشأ يقول:

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن بعدلك يكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ... أم قد كفاني ما بلغت من خبري

إنا نرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... إنا نرجو إذا ما الغيث أخلفناء

إن الخلافة جاءته على قدر ... كما أتى ربه موسى على قدر

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

الخـير مـا دلـت حيـا لا يفارقنـا بوركـت يا عمـر الخـيرات مـن عمـر

فقال: والله يا جرير لقد وافيت الأمر، ولا أملك إلا ثلاثين ديناراً فعشرة أخذها عبد الله ابني، وعشرة أخذتها أم عبد الله، ثم قال لخادمه: ادفع إليه العشرة الثالثة .

فقال: والله يا أمير المؤمنين إنها لأحب مال اكتسبته، ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك يا جرير؟ فقال: ورائي ما يسوءكم خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإنني عنه لراض، ثم أنشأ يقول:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه .. وقد كان شيطاني من الجن راقيا..}

هكذا راح يذكر نماذِج مِن شِعْره، أقل ما فيها – على رَأْي السيوطي – أنَّها تُشْعِر بِرِقَّة الدِّين، ثم رَخَّص لجِرير؛ لأنَّه كان أَعَفَّهم وأَتْقاهم، وقال: "إن كان ولابدَّ فهو"، وأدخله، فلمَّا مَثُل بين يديه ذَكَّره حق الكلمة قائلاً: "ويحكَ يا جريرُ، اتَّقِ الله، ولا تَقُل إلاَّ حقًّا"، وعندما أنشده جرير قصيدةً ذكر فيها ضَرَّاء مَسَّتْه، وضَرَّاء مَسَّتِ المُسلمينَ جميعًا؛ بسبب شِدَّةٍ أصابَتْهم، تَرَقْرَقَتْ عينا عمر بالدَّمع، وجَهَّزَ إلى الحجاز عيرًا تحمل الطَّعام، والكُسَى، والعطاء يبثُّ في فقرائهم، وأبى أن يعطي جريرًا على شعره من بيت مال المسلمين، وذَكَّره أنه لا حَقَّ له، فهو ليس واحدًا من فئات المسلمين، الذين تَجُوز فيهم الزَّكاة أو الصَّدقة، وأعطاه – اتِّقاء لِلِسَانه – عشرين دينارًا فضلت من عطائه، فخرج جرير – وقد لَمَس مِن عمر ما لمس مِن صِدْق وإخلاصٍ – راضيًا، وقال للشُّعراء الذين احْتَشَدوا يسألون عنِ الخبر .

وَجَـدْتُ رُقَـى الشَّـيْطَانِ لاَ تَسْـتَفِزُّهُ وَقَـدْ كَـانَ شَـيْطَانِي مِـنَ الجِـنّ رَاقِيَـا

واستقبل عمر منَ الشعراء مَن يعظه لا مَن يمدحه، دخل عليه خالد بن صفوان، فقال: "يا أميرَ المؤمنينَ، أتحب أن تُطْرى؟ قال: لا، قال: أَفَتُحِبُّ أن تَوعَظَ؟ قال: نعم".

وَمَثَّلَ ما تَرَكَه عمر بن عبدالعزيز منَ الآراء والمواقف النَّقديَّة التَّصَوُّرَ الإسلامي للأدب، ومُحَاولة لترسيخ الرُّؤية العقديَّة له، وراح – وهو وَلِي الأمر المسؤول – يدل أصحاب الكلمة على الطَّريق الصحيحة، ويُحَاسبهم على الجموح والانحراف، ويعلمهم كيف يكونون سُفَراء خير وإصلاح، لا أصحاب مُتَاجَرة وارْتِزَاق، وكيف يَصُونُونَ الكلمة فلا يَطْرَحُونَها في مواطن السَّفَهِ والانحراف.

وقد أَوْصَل عمر هذه الرسالة التي يُريدها مِن أصحاب الكلمة منذ تَوَلَّى خِلافة المسلمينَ، إذ صَعِد المنبر، فكان في أول خطبة خطبها قوله: "أيُّها الناس، مَن صَحبَنا فَلْيَصْحبْنا بِخَمْس، وإلاَّ فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة مَن لا يستطيع رَفْعها، ويعيننا على الخير بِجَهده، ويدلنا منَ الخير على ما لا نَهْتَدِي إليه، ولا يَغْتَابن عندنا الرَّعيَّة، ولا يعترض فيما لا يعنيه، فانْقَشَع عنه الشعراء والخُطَباء، وثبت الفقهاء والزُّهَّاد، وقالوا: ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل، حتى يخالف فِعْلُه قَوْلَه".

كان سابقُ البَرْبري، الشَّاعر الفَقِيه الزاهد واحدًا مِن هؤلاءِ، كان كثيرَ الدُّخول على عمر، إذ كان يُؤَدّي في مَجْلِسه حق الشِّعر، فكان يَسْتمع إليه، ويستنشده، وَيَتَأَثَّر بِمَواعظه وحِكَمه حتى يسقط مغشيًّا عليه.

روى ميمون بن مهران قال: دَخَلْتُ على عمر بن عبدالعزيز يومًا، وعنده سابق البربري ينشده شعرًا، فكان مما حفظتُ:

فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ بَاتَ لِلْمَوْتِ آمنًا ... أَتَتْهُ المَنَايَا بَغْتَةً بَعْدَمَا هَجَعْ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِذْ جَاءَهُ المَوْتُ بَغْتَةً فِرَارًا وَلا مِنْهُ بِحِيلَتِهِ امْتَنَعْ
وَلاَ يَتْرُكُ المَوْتُ الغَنِيَّ لِمَالِهِ وَلاَ مُعْدَمًا فِي المَالِ ذَا حَاجَةٍ يَدَعْ

فلم يزل عمر يبكي ويضطرب، حتى غشي عليه .وإذا كان رفض عمر استقبال مَن عُرف بِقِلّة الورع منَ الشعراء في مجالسه، إعلانًا رسميًّا عن السّخط، وضربًا منَ الرَّدْع، وتَقْليم الأظفار، فإن عمر رضي الله عنه راع ومسئوول عن رعيته .

صدر الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في جميع أقواله ومواقفه منَ الشِّعر والشعراء عن معيار عَقَدي مُلتزم، يرى الكلمة مسؤوليَّة وأمانة، فمضى يُحَذِّر مِن جموحها، ويدعو إلى السَّيْطرة عليها، كان يقول: "المحظوظ مَن يلجم لسانه"، وخوف مِن فتنتها، وأن تكونَ بديلاً للفعل أو تناقضه، فقال: "إنَّ للكلام فتنةً، وإن الفِعَال أولى بالمؤمن منَ القول"، وقال: "مَن لم يَعُدَّ كلامه من عمله، كَثُرَتْ ذُنُوبُه" .

القصيدة التي أبكت الخليفة عمر بن عبد العزيزرضي الله عنه لسابق البربري والتي كان ينصح ويعظ الخليفة العادل رضي الله عنه .

يقول رحمه الله:

بسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر فكن على حذر قد ينفع الحذر
واستخبر الناس عما أنت جاهله إذا عميت فقد يجلوا العمى الخبر
واصبر على القدر المقدور وارض به وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفى لامرئ عيش يسر به إلا وأعقب يوم صفوه كدر
قد يرعوي المرء يوما بعد هفوته وتحكم الجاهل الأيام والعبر

إن التقى خير زاد أنت حامله   والبر أفضل شيء ناله بشر

من يطلب الجور لا يظفر بحاجته   وطالب العدل قد يهدى له الظفر

وفي الهدى عبر تشفى القلوب بها   كالغيث يحيى به من بعد موته الشجر

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها   ولا البصير كأعمى ما له بصر

والذكر فيه حياة للقلوب كما   تحيا البلاد إذا ما جاءها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه   كما يُجَلِّي سواد الظلمة القمر

لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً   وهل يلين لقول الواعظ الحجر

ما يلبث المرء أن يبلى إذا اختلفت   يوما على نفسه الروحات والبكر

والمرء يصعد ريعان الشباب به   وكل مصعدة يوما ستنحدر

وكل بيت سيبلى بعد جدته   ومن وراء الشباب الموت والكبر

والموت جسر لمن يمشي على قدم   إلى الأمور التي تخشى وتنتظر

فهم يمرون أفواجا وتجمعهم   دار يصير إليها البدو والحضر

كم جمع قوم أشتَّ الدهر شملهم   وكل شمل جميع سوف ينتشر

ورب أصيد سام الطرف معتصباً   بالتاج نيرانه للحرب تستعر

يظل مفترش الديباج محتجباً   عليه تبنى قباب الملك والحجر

قد غدرته المنايا وهو مستلب   مجندلٌ تاربُ الخدين منعفر

إلى الفناء وإن طالت سلامتهم   مصير كل بني أنثى وإن كبروا

إذا قضت زمرٌ آجالها نزلت   على منازلها من بعدها زمرُ

أصبحتم جزراً للموت يأخذكم   كما البهائم في الدنيا لكم جزرُ

فبعد آدم ترجون البقاءَ وهل   تبقى فروعٌ لأصل حين ينهصرُ

وليس يزجركم ما توعظون به   والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

لا تبطروا واهجروا الدنيا فإن لها   غبا وخيماً وكفر النعمة البطر

ثم اقتــدوا بالألى كــانوا لكــم غــرراً ... ولــيس مــن أمــة إلا لهــا غــررُ

مــتى تكونــوا علــى منهــاج أولكــم ... وتصـبروا عـن هـوى الـدنيا كمـا صـبروا

مــا لي أرى النــاس والــدنيا موليــة ... وكــل حبــل عليهــا ســوف ينبــتر

لا يشــعرون بمــا في ديــنهم نقصــوا ... جهــلاً وإن نقصــت دنيــاهم شــعروا

حــتى مــتى آن في الــدنيا أخــو كلــف ... في الخــد منهــا إلى لــذاتها صــعروا

ولا أرى أثــراً للــذكر في جســدي ... والحبــل في الحجــر القاســي لــه أثــر

لــو كــان يســهر عيــني ذكــر آخــرتي ... كمــا يــؤرقني للعاجــل الســهرُ

إذاً لــداويتُ قلبــاً قــد أضــر بــه ... طـول السـقامي وكسـر العظـم ينجـبرُ

ثم الصــلاة علــى المختــار سيدنــا ... مـا هبـت الـريح واهتـزت بهـا الشـجر

يلاحـظ بأن القصـيدة قـد خلـت مـن أي عبـارة ثنـاء ومـديح للخليفـة عمـر بـن عبدالعزيز رضي الله عنه فقد كانت حقا خالصة لوجه الله فنعم الواعظ والموعوظ؟!

موقف عمر بن عبد العزيز من غيلان الدمشقي القدري

عن عمرو بن مهاجر قال: بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان بن مسلم يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه فقال: غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر. فأشرت إليه أن لا يقول شيئاً، قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان : ١ ـ ٣).

قال إقرأ آخر السورة (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الإنسان: ٣٠– ٣١) ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصرتني وأصم فأسمعتني وضالاً فهديتني . وفي رواية: دعا عمر بن عبد العزيز غيلان فقال: يا غيلان بلغني أنك تتكلم في القدر فقال: يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون علي؟ فقال يا غيلان إقرأ أول (يس) فقرأ (يس والقرآن الحكيم) حتى قول:

(إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (يس: ١– ١٠) .

فقال غيلان: يا أمير المؤمنين، والله لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول فقال عمر: اللهم إن كان صادقاً فثبته وإن كان كاذباً

فاجعله آية للمؤمنين، وجاءت روايات كثيرة في محاورة عمر بن عبد العزيز لغيلان الثقفي وكان له حديث طويل في معتقد أهل السنة في مسالة الإيمان بالقدر، وقد ناقش عمر بن عبد العزيز القدرية وسألهم عن العلم وذلك بسؤالهم عن علم الله، فإذا أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا فقال لغيلان الدمشقي: ما تقول في العلم. قال: قد نفد العلم. قال: فأنت مخصوم اذهب الآن فقل ما شئت ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت وإن جحدته كفرت، إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر.

ولعل عمر بن عبد العزيز أول من نهج هذا النهج في سؤال القدرية عن العلم، ثم صار هذا المنهج منهجاً لأهل السنة بعده، وقد استدل رحمه الله في ردوده على غيلان بآيات صريحة في الرد على المكذبين بالقدر كما جاء في بعض الروايات . وهي قوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ) (الصافات: ١٦١ ـ ١٦٣) .

قال ابن حجر رحمه الله في تفسير هذه الآيات: يقول تعالى: فإنكم أيها المشركون بالله وما تعبدون من الآلهة والأوثان ما أنتم عليه بفاتنين أي بمضلين أحداً إلا من سبق في علمي أنه صال الجحيم . وقد بين عمر في خطبه ورسائله أن الله تبارك وتعالى هو الهادي وهو المضل، وهذا ما جاء في الكتاب العزيز قال تعالى: (مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: ٣٩). وغيرها من الآيات وقد كانت القدرية تنكر أن يكون الله تعالى هو الهادي وهو الفاتن. وإنما العبد هو الذي يهدي نفسه إذا شاء ويضلها إذا شاء فلعل رسائل عمر وخطبه في الجمع من الردود على هؤلاء المبتدعة وسواء قصدهم عمر بخطبه أو ألقاها بدون قصد الرد عليهم تبقى ردوداً قوية على كل من انحرف في باب القدر عن منهج الكتاب والسنة، وقد بين عمر بن عبد العزيز أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى مقدرة له مكتوبة على

عباده، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦).

وقال ﷺ: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

وقد بين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .كما جاء في خطبه . أن العبد إذا أذنب فعليه أن يتوب ويستغفر الله تعالى ولا يحتج على الله بالقدر ولا يقول أي ذنب لي وقد قدر علي هذا الذنب، بل يعلم أنه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب وإن كان ذلك كله بقضاء الله وقدره ومشيئته، إذ لا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته وخلقه، كما رد عمر على القدرية القائلين بأن العبد له مشيئة مستقلة يستطيع بها رد علم الله فبين أن العبد له قدرة ومشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى .

وقد جاءت عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه آثار خاصة تدل على زيادة الإيمان وإدخال الأعمال فيه. وهذه الآثار رد على المرجئة ولاسيما وأن أهل العلم قد ذكروا هذه الآثار في معرض ردودهم على المرجئة. كما ورد عنه أيضا التحذير عن البدع كلها ولا بدعة أظهر من بدعة الإرجاء، وهاهي الآثار الواردة عنه في هذا المبحث، فقد مرّ معنا قوله: إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان فإن أعشى أعلمكموها وأحملكم عليها، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص .

وقال: لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى .

وقال: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا .

يتبين مما سبق أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان حريصاً على رد البدع كلها. حتى ولو أدى ذلك إلى أن يضحي بنفسه وتبين الآثار الواردة عنه القول الصحيح في الإيمان وأنه يشمل العبادات كلها وأولى عناية خاصة بشعبه، ووعد بأنه إن عاش فسيحمل رعيته عليها، ففي هذا المأثور عنه بيان للقول الصحيح في الإيمان، وقد وضحت مفهومه للإيمان عند الحديث عن اهتمامه بعقائد أهل السنة، كما أن فيه الرد على بدعة الإرجاء لأن إحقاق الحق إبطال للباطل، وهذا المأثور عنه هو الحق الثابت عنه في مسألة الإيمان .

وأما ما رواه ابن سعد في الطبقات أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما تولى الخلافة جاءه راحلاً إليه عون بن عبد الله وموسى بن أبي كثير وعمر بن حمزة وفي بعض المراجع عمر بن ذر فكلموه في الإرجاء وناظروه فزعموا أنه وافقهم ولم يخالفهم في شيء منه، فهذا لا يثبت عنه.[٣]

---

*غَيْلان الدمشقي: هو غَيْلان بن مسلم الدمشقي، اختلف في اسم أبيه فقيل: مسلم، و قيل: مروان، و قيل: يونس، أصله قبطي من مصر، كان أبوه قد أسلم و صار من موالي عثمان بن عفان.

ولد و عاش في مدينة دمشق التي نُسب إليها، و ارتحل في طلب العلم فدرس على الحسن بن محمد بن الحنفيةفي المدينة، و درس الفقه على الحسن البصري في البصرة. عاش غيلان في دمشق في زقاق فقير بقرب أحد أبواب دمشق اسمه باب الفراديس، لما تولى الخلافة – بعد عمر – هشام بن عبد الملك أراد أن يحقق وعده السابق بالانتقام من غيلان، فاعتقله، و في مجلس الخلافة زعق فيه: مد يدك، فمدها غيلان، فضربها الخليفة بالسيف فقطعها، ثم قال: مد رجلك، فمدها، فقطعها الخليفة بالسيف الباتر .. و بعد أيام مر رجل بغيلان و هو موضوع أمام بيته بالحي الدمشقي الفقير، و الذباب يقع بكثرة على يده المقطوعة، فقال الرجل ساخراً: يا غيلان، هذا قضاءٌ و قدر! فقال له: كذبت، ما هذا قضاء و لا قدر .. فلما سمع الخليفة بذلك، بعث إلى غيلان من حملوه من بيته، و صلبه على إحدى أبواب دمشق ١٠٦ هـ/٧٢٤م.

موقف عمر بن عبدالعزيز من الصحابة والخلاف بينهم

اهتم عمر بن عبد العزيز بعقائد أهل السنة وحرص على تعلمها وتعليمها وبثها بين الناس، ودافع عنها، وتناثرت أقواله في عقائد أهل السنة ومن أهم الجوانب العقائدية التي تحدث فيه عمر بن عبد العزيز رحمه الله:عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أنه قال: لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما أحب أن أصحاب رسول الله- ﷺ- لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولاً واحدًا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يُقتدى بهم، ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة.. قال أبو عمر رحمه الله: هذا فيما كان طريقه الاجتهاد .

سئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان وصفين وما كان بينهم؟ فقال: تلك دماء كف الله يدَيَّ عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها وعن محمد بن النضر قال: ذكروا اختلاف أصحاب محمد ﷺعند عمر بن عبد العزيز فقال: أمرٌ أخرج الله أيديَكم منه، فلِمَ تعملون ألسنتكم فيه؟، وعمر بن عبد العزيز كغيره من علماء السلف الصالح حريصٌ على إبراز فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، ولم لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ١٨).

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول ﷺإلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسنُ المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب، وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة؛ بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحقُّ منهم؛

لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين، ومضمون الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز توضح معتقده في الصحابة وهو معتقد أهل السنة والجماعة.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: " إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ " رواه أحمد .

قال الطحاوي – في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة: -

(ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان). وقد بلّغ الصحابة عن رسول الله ﷺما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم، لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام، ولهم مثل أجور من بعدهم؛ لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في سنّته المطهرة، وحسبهم ذلك فضلاً وشرفاً.

قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم) (التوبة:١٠٠) .

وقال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمً) (محمد:٢٩) .

وفي قوله – سبحانه – في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أخطرُ حكمٍ، وأغلظ تهديد، وأشد وعيد في حق من غِيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم.

وقال تعالى: (لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير) (الحديد:١٠) .

وقال تعالى في بيان مصارف الفيء: (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون * وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر:٨ – ١٠) .

هـذه ثـلاث آيات مـن سـورة الحشـر، الأولى منهـا في المهـاجرين، والثانيـة في الأنصار، والثالثة في الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار مستغفرين لهم سائلين الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم وليس وراء هذه الأصناف الثلاثة إلّا الخذلان، والوقوع في حبائل الشيطان.

ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير بشأن بعض هؤلاء المخذولين: «أُمـروا أن يسـتغفروا لأصـحاب رسـول الله ﷺ فسـبوهم» أخرجـه مسـلم في أواخـر صحيحه .

وقال النووي في شرحه بعد ذكر آية الحشر: (وبهذا احتج مالك في أنه لا حق في الفيء لمن سبّ الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّ الله إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر لهم) .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم) .

وقال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم .

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» والله أعلم ذكر الثالث أم لا.

وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم » .

وروى ابن بطة بإسناد صحيح – كما في منهاج السنة لابن تيمية – عن ابن عباس أنه قال: « لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة – يعني مع رسول الله ﷺ– خير من عمل أحدكم أربعين سنة ».

ومن عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺوتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، والأخذ بآثارهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺوالجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر: ١٠) .

هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره، قال مالك: (من

كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ الآية) .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أهل السنَّة والجماعة لا يعتقدون أن كل واحدٍ من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجُوز عليهم الذنوبُ في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم، إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم مِن الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبَت بقول رسول الله ﷺ:

(إنهم خير القرون)، وإن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضلَ من جبل أحدٍ ذهَبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدَر مِن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمدٍ ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتُلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجرانِ، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟ ثم القَدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نَزْر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم؛ من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح، ومَن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرةٍ وما منَّ الله به عليهم من الفضائل، علِم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى .ويتبين أن هناك إجماع واتفاق بين علماء المسلمين بالإمساك عن ماشجر بين الصحابة وتخطئة المخطئ .

ذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ أَعْجَبَنِي قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " مَا أُحِبُّ أَنَّ أَصْحَابَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَخْتَلِفُوا؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانُوا قَوْلاً وَاحِدًا كَانَ النَّاسُ فِي ضِيقٍ وَإِنَّهُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ وَلَوْ أَخَذَ رَجُلٌ بِقَوْلِ أَحَدِهِمْ كَانَ فِي سَعَةٍ " .

" فضيلة الإمساك عما شجر بين الصحابة" أجمع أهل السنة قاطبة على الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة والسكوت عما حصل بينهم من قتال وحروب، وعدم البحث والتنقيب عن أخبارهم أو نشرها بين العامة لما لها من أثر سيئ في إثارة الفتنة والضغائن وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم، مما يقلل الثقة بهم .

والواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم .

وكُتُبُ أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية في حق الصحابة الكرام، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها: سُئل عمر بن عبد العزيز عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: (تلك دماء طهّر الله يدي منها؛ أفلا أُطهر منها لساني؟ مَثَلُ أصحاب رسول الله - مَثَلُ العيون؛ ودواء العيون ترك مسها) .

وسئل الحسن البصري عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: (قتال شهده أصحاب محمد - وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا) .

وقال الإمام أحمد بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: (ما أقول فيهم إلاّ الحسنى) .

وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد بيان ما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله– وما ينبغي أن يُذكروا به فقال: (وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلاّ

بأحسن ذكر، والإمساك عمّا شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويُظن بهم أحسن المذاهب) .

وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: (ومن بعد ذلك نكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله– وقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل؛ فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم أنهم سيقتتلون؛ وإنما فُضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ العمد قد وُضِعَ عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم). وقال أبو عثمان الصابوني في صدد عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرون الكف عمّا شجر بين أصحاب رسول الله – وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم) .

وقال القرطبي: (لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأراد الله عز وجل. وهم كلهم لنا أئمة، وقد تُعبّدنا بالكف عمّا شجر بينهم، وألاّ نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة، ولنهي النبي– عن سبهم، وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضى عنهم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون) .

وقال ابن بطة: (ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمر بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم

سيقتتلون، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم) .

فإذا تبين لنا أن الإجماع قد وقع من علماء المسلمين على السكوت عما شجر بين الصحابة، وعدم التنقيب أو التنقير عما حصل بينهم من حروب وقتال؛ ولو حسنت نية المتكلم أو السامع، كان من المناسب أن نعرف معنى السكوت نحوهم.

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة وهو يبين عقيدة أهل السنة: " وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يُذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلّا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب " .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: " ومن السّنّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺكلهم أجمعين والكف عن الذي جرى بينهم، فمَن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سنّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة" .

وقال: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم؛ فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع " .

و من أصول أهل السنة و الجماعة سلامة قلوبهم و ألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله به في قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَ لِإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُو رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيم) .و يقبلون ما جاء به الكتاب و السنة و الإجماع من فضائلهم و مراتبهم.

قال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة: إنما هؤلاء اقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في اصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحون.

وقال ابن كثير عند قوله وتعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ) (الفتح:٢٩) .

قال: " ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك " .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ما تواتر به النقل عن علي رضي الله عنه وغيره أن خيرَ هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ثم عمر، واختلفوا في عثمان وعلي: أيُهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى ترجيح الرأي الأول وهو تقديم عثمان على عَلِي في الأَفضلية .

يتبين من الآثار السابقة المأثورة عن عمر رضي الله عنه النهي عن اتباع الهوى والابتداع في الدين واتباع منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة وهو ما جاءت بالنصوص

الصحيحة وأقوال السلف رحمهم الله قال تعالى: (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) .

لقد حظي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بمكانة سامقة بين علماء الأمة، عندما نأي بنفسه عن تلك الخصومات، لأن الخصومات مدعاة للفرقة والفتنة، ومجلبة للتعصب واتباع الهوى، ومطية للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين وذريعة للقول على الله بلا علم.

ولما كان هذا شأن الجدل والخصومات ابتعد عنها السلف الصالح، وحذروا منها، وورد عنهم آثار كثيرة في ذلك. وأخرج أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: " من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل ".

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: " إياكم والخصومات، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق " .

وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي: " ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء؟ قال: الخصومات " .

رأي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلتزام منهج أهل السنة والجماعة في معتقدهم، فأهل السنة قد يختلفون في بعض المسائل الاجتهادية، مع بقاء الألفة والمحبة والمودة فيما بينهم، ومن الأمثلة الرائعة ما أسنده ابن عبد البر إلى العباس بن عبد الملك العظيم العنبري أحد الثقات الحفاظ الكبار، وممن روى عن الإمام أحمد وشاركه في الرواية عن بعض شيوخه، قال :"كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي المديني راكباً على دابة ، فناظر في الشهادة – يريد الشهادة بالجنة للعشرة المبشرين بها – وارتفعت

أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفا، وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه " .

وقد يحتاجون إلى الرد على بعض، ولكن في حدود الأدب واللياقة ، بعيداً عن الإسفاف والصفاقة أو التنقص والغيبة، لأن الله –عز وجل– أمرنا ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فما الشأن مع المسلمين؟! بل مع خاصة المسلمين من العلماء والدعاة والمصلحين؟! فهم يدينون لله تعالى بسلامة قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المسلمين.

قال الذهبي رحمه الله عن الإمام الشافعي رحمه الله: "ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة "!!

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة في الخلاف، لا كما يفعله بعض من خالف منهجهم ممن يمتحن أتباعه بأن يكون لهم موقف معادٍ مع من خالفه، فإن لم يوافقه بدع وهجر.

وليس لأحد أن ينسب إلى أهل السنة مثل هذه الفوضى في التبديع والهجر، وليس لأحد أيضاً أن يصف من لا يسلك هذا المسلك الفوضوي بأنه مميع لمنهج أهل السلف، وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله تعالى في جوابه لأهل البحرين: "كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء:٥٩)، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم

من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه، فهذا يعامل معاملة أهل البدع " .

فقد حرص رضي الله عنه على جمع كلمة المسلمين على الحق، كما حرص على وحدة المسلمين، ولمَّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم، لعلمه أن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب، ولأن الله –عز وجل– أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ *وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (آل عمران:١٠٢–١٠٣)، بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، ويحزبونهم ويصنفون ويؤلبون بعضهم على بعض بدعاوى وأوهام بعيدة عن الحقائق، وخالية من التثبت.

موقف عمر بن عبد العزيز من الشيعة

كلمة الشيعة في اللغة يراد بها: الاتباع، والأنصار، والأعوان، والخاصة.

وفي الاصطلاح هو اسم لكل من فضل عليًا على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعا ورأى أن أهل بيته أحق بالخلافة من سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد ظهرت فرقة الشيعة بعد معركة صفين حين انشق الخوارج وتحزبوا في النهروان فظهر في مقابلهم اتباع وأنصار علي رضي الله عنه حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئاً فشيئًا .

وللشيعة أسماء عدة كالرافضة والزيدية إضافة إلى الاسم العلم لهم، الشيعة. هذا بغض النظر عن صدق هذا الاسم عليهم أو عدم صدقه لأنه لا تأثير للأسماء في الحقيقة والواقع .

والشيعة فرق عديدة منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونه ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك ومؤسس مذهبهم هذا هو عبد الله بن سبأ كان يهوديا من اليمن فادعى الإسلام .

وأهم فرقهم هي: الكيسانية، والسبئية، والزيدية، والرافضة .

إن مما أنعم الله به على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بُعدالنظر،والإصابة في القول، فأقواله رضي الله عنه تنم عن هبة خصه الله بها، فقوله إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة، يُعتبر قاعدة تدلنا على

أخص سمة يتميز بها أهل الأهواء والبدع، وهي التناجي في أمور الدين بخفية، والخروج عن جماعة المسلمين الذين هم سلف هذه الأمة. وقد حاز الشيعة قصب السبق في هذا الجانب حيث وجد عندهم من البدع ما لم يوجد عند غيرهم من الفرق المنتسبة إلى الإسلام .

علم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرق الشيعة، وقام بزجرهم بخطبه ورسائله محذرا عن الفرقة، والخروج عما كان عليه الصحابة وآمرا بالاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم الجماعة، وترك الابتداع في الدين الذي هو أبرز سمات شعار فرقة الشيعة الرافضة إلى أن أتاه أجله فرحمه الله رحمة واسعة .

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعرف معتقدات هذه الفرقة الضالة، التي تكتم عقيدتها بالتقية، حيث تتظاهر بأنها تنقاد للأئمة وتؤدي الواجبات في الظاهر، بينما تعتقد في الباطن خلاف ذلك ومن العجيب أن يوجد بين المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن من يرى أن هناك من يرجع من الأموات قبل يوم القيامة كما هو معتقد فرقة من فرق الغلاة الشيعة الذين يرون أنه لا يجوز القتال بالسيوف وغيرها من الأسلحة الفتاكة إلا معوجود الإمام المعصوم .

أما في حال غيبته فيقتصرون على القتال بالخشب فقط. ومن خلال أفراد هذه الفرقة عرف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن من تحبه من بني هاشم فهو فاسد لأن أفرادها وعوامها لا يحبون إلا من يوافقهم في ضلالاتهم وأهوائهم، وأما من تكرهه من بني هاشم فهو صالح لأنه لا يمكن للمسلم العاقل أن يعتقد مثل هذه الاعتقادات الباطلة، وقد بين الأشعري رحمه الله أن هذا المعتقد كان يقول به عبد الله بن سبأ مؤسس معتقد الغلاة فقال رحمه الله الصنف الرابع عشر من أصناف الغالية وهم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن عليا لم يمت، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم

القيامة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وذكروا عنه أنه قال لعلي رضي الله تعالى عنه: أنت أنت! والسبئية يقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا... " .

ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد: قال أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من عامله على الكوفة يخبره بسوء طاعة أهلها فوقع عليها عمر "لا تطلب طاعة من خذل عليا رضى الله عنه وكان إماما مرضيا" .

ولكن الشيعة الإثنا عشرية ترى أن عمر بن عبد العزيز (كغيره من الخلفاء) قد تبوّأ منصب الخلافة بغير حق، إذ هو منصب مقصور على أصحابه الشرعيين من أئمة أهل البيت حسب عقيدة الشيعة الإثنا عشرية، « فالجلوس في هذا المكان بحد ذاته يعد ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً تهون عنده الذنوب الأخرى جميعها، بل يعد اغتصاب الخلافة الشرعية من أصحابها الشرعيين أس الذنوب الذي دارت عليه رحى الكبائر والموبقات إلى يوم القيامة، إلاّ ان لعمر بن عبد العزيز بعض المواقف التي كانت موضع التقدير، وأمّا من يعتبره خليفة راشداً عادلاً فهو لا يكون إلاّ بحسب مبانيه في الخلافة التي تخالف مباني الشيعة الإمامية في الموضوع » .

إلا أن بعض الشيعة يرون أن عهد عمر على قصر مدته كان متنفساً للمسلمين من اضطهاد قومه بني أمية، وأن هناك نقاط إيجابية من عصره، وأنه لما استخلف قال: " يا أيها الناس، إني قد رددت عليكم مظالمكم، وأول ما أرد منها ما كان في يدي، وقد رددت فدك على ولد رسول الله ﷺ وولد علي بن أبي طالب"، فكان أول من ردها.

وأنه ألغى مرسوم معاوية بلعن " علي بن أبي طالب" في صلاة الجمعة وقد أنكر أهل السنة هذا المرسوم من أساسه، قال اليعقوبي : " وترك لعن علي بن أبي طالب على المنبر، وكتب بذلك إلى الآفاق ... وأعطى بني هاشم الخمس، ورد فدكاً وكان

معاوية أقطعها مروان فوهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر منه فردها على ولد فاطمة، فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك فقبضها".[4]

محبة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لآل البيت

روى مسلم في صحيحه والترمذي في الجامع الصحيح عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (ان الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) .

فمحبة أهل بيت رسول الله ﷺ من العبادات التي يتقرب بها المسلم لربه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣) والمعنى أن تودوني في قرابتي، أي تحسنوا إليهم وتبروهم، وهذا قولسعيد بن جبير وهو أحد الأقوال في تفسير الآية.

وقد أوصى النبي ﷺ في عدة أحاديث بأهل بيته، فمن ذلك ما رواهمسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله،

* الشيعة هو اسم يطلق على ثاني أكبر طائفة من المسلمين، وهم الذين عرفوا تاريخيًا بـ"شيعة علي" أو "أتباع علي"، وغالبًا ما يشير مصطلح الشيعة إلى الشيعة الاثنا عشرية لأنها الفرقة الأكثر عددًا. يرى الشيعة أن عليًا بن أبي طالب هو وأحد عشر إمامًا من ولده (من زوجته فاطمة بنت النبي محمد) هم أئمة مفترضو الطاعة بالنص السماوي وهم المرجع الرئيسي للمسلمين بعد وفاة النبي، ويطلقون عليهم اسم الأئمّة أو الخُلفاء الذين يجب اتّباعهم دون غيرهم طبقًا لأمر من النبي محمد في بعض الأحاديث مثل حديث المنزلة، وحديث الغدير، وحديث الخلفاء القرشيين الاثنا عشر، وحديث الثقلين المنقولة عن النبي محمد بنصوص مختلفة والذي يستدلّون به على غيرهم من خلال وجوده في بعض كتب بعض الطوائف الإسلامية التي تنكر الإمامة وهو كالتالي :«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» .

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال : وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي .. الحديث . وروى البخاري في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي . وروي عنه أيضا أنه قال : ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته . أي احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم ، وقد نص أهل العلم على أن من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت وتعظيمهم من غير غلو، قال شيخ الإسلام ابن تيميةفي العقيدة الواسطية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ.

فمحبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي من حقوقهم علينا، كما أن من حقهم علينا نصرتهم وإكرامهم والذب عنهم سواء الأحياء منهم والأموات، ويستحب الصلاة عليهم في التشهد؛ كما أمر النبي ﷺ بذلك، فيقول المصلي في تشهده: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

ولكن ينبغي للمسلم أن يحذر من أن يقع في الغلو في محبتهم؛ كما وقع لبعض المبتدعة الذين عبدوهم مع الله ورفعوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، فآل البيت بشر من البشر لا يملكون نفعا ولا ضرا، وهذا رسول الله ﷺ أمره ربه أن يعلنها صريحة للناس فقال: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) (الجن: ٢١) وقال: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (يونس: ٤٩) فغيره ﷺ من باب أولى، فمحبة آل البيت عبادة مشروعة، والغلو فيهم بدعة ممنوعة .

عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه أنه قال:: لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق وإنهم أئمة يقتدى بهم ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة .

قال أبو عمر رحمه الله هذا فيما كان طريقه الاجتهاد، وسئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان وصفين وما كان بينهم فقال: تلك دماء كف الله يدي عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها وعن محمد بن النضر قال: ذكروا اختلاف أصحاب محمد ﷺ عند عمر بن عبد العزيز فقال: أمر أخرج الله أيديكم منه ما تعملون ألسنتكم فيه. وعمر بن عبد العزيز كغيره من علماء السلف الصالح حريص على إبراز فضائل أصحاب رسول الله ﷺولم لا يكون ذلك وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً) (الفتح ، الآية : ١٨) .

ومعتقد أهل السنة: بأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب، وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين، ومضمون الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز توضح معتقده في الصحابة وهو معتقد أهل السنة والجماعة .

قال د. محمد بيومي في كتابه (في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين): الذي اشتهر بحب آل البيت، والذي قال لعبد الله بن الحسن المثنى، حفيد الإمام علي، (والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي) . وحين ذكر الزهاد عنده قال: (أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب) .

قالت عائشة رضي الله عنها: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي -ﷺ- فسبوهم) صحيح مسلم .

قال أبو نعيم: (فمن أسوأ حالاً ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لهما والمخالفة عليهما. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح، قال تعالى: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (سورة آل عمران: ١٥٩). وقال: (واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين) (سورة الشعراء: ٢١٥) .

فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين) .

عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شئ، فسبه خالد. فقال رسول الله ﷺ : (لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُد أحدِهم ولا نصِيفَه) رواه البخاري

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال: (لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون) .

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: و من السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ، و محبتهم و ذكر محاسنهم و الترحم عليهم و الاستغفار لهم ، والكف عن ذكر مساوئهم و ما شجر بينهم ، و اعتقاد فضلهم و معرفة سابقتهم ، قال الله تعالى: (و الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا) (الحشر: ١٠) و قال تعالى: (محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (الفتح: ٢٩) و قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) رواه البخاري .

قال ابن تيميه رحمه الله: سائر اهل السنه والجماعه وائمه الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : "كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بينهم وقتالهم – رضي الله عنهم – أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب " .

قال ابن بطة: « ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله – ﷺ– فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا ترووه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق. كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاستماع إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها.

وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها" .

وقد أجمع السلف على عدم الخوض فيما شجر بينهم رضى الله عنهم أجمعين روى الخطابي عن حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبدالله بن روح المدائني قال: حدثنا يحيى بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما. فقال: هل غير. قال: لا. قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه .

قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) .

وروى الخطابي عن يونس بن عبد الأعلى يقول: حدثنا الشافعي قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين. فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها فلا أحب أن أخضب لساني بها. وسنده منقطع. ورواه ابن سعد خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال: سئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان والجمل صفين وما كان بينهم فقال: تلك دماء كف الله يدي عنها وأنا أكره أنا أطره أن أعمس لساني فيها .

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سباقا لوأد الفتنة؛ إذ أنه يعتقد باعتقاد أهل السنة والجماعة ويقول بقولهم: أن ما شجر بينهم من خلاف فقد كانوا رضي الله عنهم يطلبون فيه الحق و يدافعون فيه عن الحق، فاختلفت فيه اجتهاداتهم، و لكنهم عند الله عز وجل من العدول المرضي عنهم، و من هنا كان منهج أهل السنة والجماعة هو حفظ اللسان عما شجر بينهم، فلا نقول عنهم إلا خيراً و نتأول و نحاول أن نجد

الأعذار للمخطئ منهم و لا نطعن في نيّاتهم فهي عند الله، و قد أفضوا إلى ما قدموا، فنترضى عنهم جميعاً و نترحم عليهم و نحرص على أن تكون القلوب سليمة تجاههم *.

موقف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من أهل الذمة

تعني الذمة في اللغة: العهد والأمان والضمان، وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم؛ فإن تعاليم الإسلام كانت تقضي بأنه إذا أراد المسلمون فتح إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام، فمن استجاب منهم طُبِّقت عليه أحكام المسلمين، ومن امتنع أُخذت منه الجزية.

قد سبق أن ذكرنا موقف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من أهل الأهواء والبدع، وسنذكر الآن موقفه من أهل الذمة وهم:- أهل الأديان الأخرى غير الإسلام المعاهدين على دفع الجزية للمسلمين .

أما موقفه من أهل الحرب؛ فقد كان متبعا منهج الرسول ﷺ ومنهج خلفائه الراشدين حيث كتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام كما فعل الرسول ﷺ مع فارس والروم، ووعدهم عمر بأن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على

---

*آل البيت مصطلح إسلامي يشير إلى جماعة من أقرباء نبي الإسلام محمد ﷺ، ويؤمن المسلمون بأن آل البيت لهم مكانة خاصة بين العموم مع اختلاف درجة هذه المكانة بين المذاهب الإسلامية. ذكرهم القرآنفي آية التطهير:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (سورة الأحزاب : آية ٣٣)

وذكرهم الرسول ﷺفي عدة نصوص واردة عنه، واكتسب هذا المصطلح اهميته وشهرته، نتيجة الاختلاف بين شيوخ أهل السنة والجماعة في تفسير ماهية أهل البيت الذين ذكرهم القرآن والرسول.

المسلمين، وكانت سيرته قد بلغتهم فأسلم "جيشبة بن زاهر" والملوك، وتسموا له بأسماء العرب، وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد بن عبد الملك .

كما كتب إلى ملك الروم قيصر يدعوه إلى الإسلام . أما ما يخص أهل الذمة الموجودين تحت سلطته فيتضح موقفه منهم فيما أثر عنه من الآثار الآتية:

تحدث ابن القيم عن حال عمر بن عبد العزيز مع أهل الذمة فقال: فأما عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فإنه كتب إلى جميع عماله في الآفاق: أما بعد، فإن عمر بن عبد العزيز يقرأ عليكم من كتاب الله: "ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس"، وجعلهم الله " حزب الشيطان " وجعلهم: بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، واعلموا أنه لم يهلك من هلك من قبلكم إلا بمنعه الحق وبسطه يد الظلم، وقد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى أنهم إذا قدموا بلدا أتاهم أهل الشرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير، ولا خيرة ولا تدبير فيما يغضب الله ورسوله، وقد كان لهم في ذلك مدة وقد قضاها الله تعالى، فلا أعلمن أن أحدا من العمال أبقى في عمله رجلا متصرفا على غير دين الإسلام إلا نكلت به، فإن محو أعمالهم كمحو دينهم، وأنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار، وآمر بمنع اليهود والنصارى من الركوب على السروج إلا على الأكف، وليكتب كل منكم بما فعله من عمله .

وكتب إلى حيان، عامله على مصر باعتماد ذلك فكتب إليه: أما بعد يا أمير المؤمنين فإنه إن دام هذا الأمر في مصر أسلمت الذمة، وبطل ما يؤخذ منهم، فأرسل إليه رسولا وقال له: اضرب حيان على رأسه ثلاثين سوطا أدبا على قوله، وقل له: من دخل في دين الإسلام فضع عنه الجزية، فوددت لو أسلموا كلهم، فإن الله بعث محمدا داعيا لا جابيا .

وأمر أن تهدم بيع النصارى المستجدة، فيقال: إنهم توصلوا إلى بعض ملوك الروم وسألوه في مكاتبة عمر بن عبد العزيز، فكتب إليه: أما بعد يا عمر، فإن هؤلاء الشعب سألوا في مكاتبتك لتجري أمورهم على ما وجدتها عليه، وتبقي كنائسهم، وتمكنهم من عمارة ما خرب منها، فإنهم زعموا أن من تقدمك فعل في أمر كنائسهم ما منعتهم منه، فإن كانوا مصيبين في اجتهادهم فاسلك سنتهم، وإن يكونوا مخالفين لها فافعل ما أردت .

فكتب إليه عمر: أما بعد فإن مثلي ومثل من تقدمني كما قال الله تعالى في قصة داود وسليمان: إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما .

وكتب إلى بعض عماله: أما بعد، فإنه بلغني أن في عملك كاتبا نصرانيا يتصرف في مصالح الإسلام، والله تعالى يقول: يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان بن زيد – يعني: ذلك الكاتب – إلى الإسلام، فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به ولا تتخذ أحدا على غير دين الإسلام في شيء من مصالح المسلمين، فأسلم حسان وحسن إسلامه .

إلا أن بعض الروايات عن النصارى الذين عاصروا عمر بن عبد العزيز تتناقض مع ذلك، فقد روي عن الأوزاعي أنه قال: شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين، فمررت على راهب فقال: «يا هذا، أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل» أي عمر بن عبد العزيز، فقلت له: «نعم»، فأرخى عينيه فبكى سجاماً، فقلت له: «ما يبكيك ولست من أهل دينه؟»، فقال: «إني لست أبكي عليه، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطفئ» .

كما حاول تعويض النصارى عن مصادرة كنيسة القديس يوحنان، إذ أعاد لهم كنيسة توما في دمشق .

وذكر أن عمر رضي الله عنه كان يقيم لمدة طويلة وحتى آخر أيامه بخناصرة بالقرب من أحد الأديرة الذي يسمى دير سمعان، حيث يوجد قبره، ويقال أن أهل الدير أرادوا إهداء موضع القبر لخليفتهم إلا أنه فضل شراءه منهم.

والأكثر من ذلك أنه يقال أن عمر رضي الله عنه وظف عطايا لأهل الذمة بعد أن تم توزيع الأموال على المسلمين .

ويُروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعث وفداً إلى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين، وحق يدعوه إليه، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه، والتاج على رأسه والبطارقة على يمينه وشماله، والناس على مراتبهم بين يديه، فأدى إليه ما قصدوه له، فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم، فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله، فدخلوا عليه، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها، كأنه في مصيبة، فقال: «هل تدرون لماذا دعوتكم؟»، قالوا: «لا»، قال: «إن صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاء في كتابه في هذا الوقت: أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات»، فما ملكوا أنفسهم أن بكوا، فقال: «ألكم تبكون أو لدينكم أو له؟»، قالوا: «نبكي لأنفسنا ولديننا وله»، قال: «لا تبكوا له، وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم، فإنه خرج إلى خير مما خلف، وقد كان يخاف أن يدع طاعة الله، فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافته، لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى، ولقد كانت تأتيني أخباره باطناً وظاهراً فلا أجد أمره مع ربه إلا واحداً، بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه، ولم أعجب

لهذا الراهب الذي ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته، ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلاً» .

إن سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين تتجلى بسيرة الرسول ﷺ في تعامله مع غير المسلمين وسماحة النبي صلى الله عليه واله وسلم في معاملة غير المسلمين نابعة من ان الله بعثه رحمة للعالمين، وانه ﷺ مثال للكمال البشري في حياته كلها وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين. وتعدد صور السماحة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر. ومن الامثلة على ذلك تظهر سيرته في المدينة المنورة حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين وكان صلى الله عليه واله وسلم غاية في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله. لقد ضمن ﷺلمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بحماية الرسول الخاصة له وانه خصم لمن ظلمه فقال صلى الله عليه واله وسلم: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ: من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما تلك صور من سماحة النبي ﷺمع غير المسلمين وبصورة عامة لم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام. يقول توماس آرنولد: " لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي " .

وكان الخليفة الاول أبو بكر يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: " وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم " .

ومر عمر بن الخطاب بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه .

ولقد أهتم الإمام علي بحفظ حقوق كل مواطن في دولته، مسلماً كان أو غير مسلم، فإن غير المسلم شريك في الإنسانية والوطن، كما قال رضي الله عنه: (إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق). لذلك نجد الإمام علياً يتألم لانتهاك حرمة المرأة غير المسلمة، كما يتألم للمرأة المسلمة، ويعتبر وقوع شيء من ذلك في بلاد المسلمين، دون مقاومة أو ردع، يسلب الحياة قيمتها، ويكفي مبرراً لاختيار الموت أسفاً واعتراضا، يقول عليه السلام منددا بإحدى غارات جيوش معاوية: ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أُريق لهم دم، فلو أن امرءاً مسلماً، مات من بعد هذا أسفا، ما كان به ملوما، بل كان به عندي جدير.

وذات مرة رأى الإمام علي رضي الله عنه شيخاً كبيراً فاقد البصر، وهو يستجدي الناس، فهاله المنظر، والتفت قائلاً: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني،

فقال رضي الله عنه: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال .

وكتب في رسالة إلى عماله على الخراج، مؤكداً حرمة أموال وحقوق كل المواطنين مسلمين وغير مسلمين، يقول رضي الله عنه: (ولا تمسُّن مال أحد من الناس؛ مصل ولا معاهد .

ونجد ذروة الاحترام والمساواة أمام القانون، ما نقله ابن الأثير عن الشعبي قال: وجد علي درعاً له عند نصراني، فأقبل به إلى شريح (القاضي) قائلاً: هذه درعي! فقال النصراني: ما هي إلا درعي، ولم يكذب أمير المؤمنين، فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصراني الدرع، ومشى يسيراً، ثم عاد، وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، ثم أسلم، واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً .

لقد تمتع أهل الذمة في زمن الدولة الأموية بنصيب كبير من الوظائف، حيث احتلوا مكانة بارزة في الحكم الأموي، وكثُر عددُهم في الدواوين والمصالح.

وحتى في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه .

كما تمتع أهل الذمة في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بكثير من عدله ورحمته؛ فقد أمر عماله بألاً يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صُولح أهلُ الذمة عليه،

كما نهى عمر بن عبد العزيز عامله على الكوفة عن اتباع سياسة الحجاج التي تقضى بإرجاع أهل الذمة إلى قراهم.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامله بالكوفة -أيضًا- أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة فيسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، ثم ختم رسالته بقوله: " قووا أهل الذمة؛ فإننا لا نريدهم لسنة أو سنتين ".

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجعل صدقات بني تغلب -القبيلة المسيحية- في فقرائهم دون ضمها إلى بيت المال.

وعندما أمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته فردها عليه.

ولكن أهل الذمة في العراق في عصر الحجاج بن يوسف والي عبد الملك بن مروان عانوا بعض الشيء من سياسته، فقد ظنَّ أهل الذمة أن إسلامهم سيخلِّصُهم من دفع الجزية، فأقبلوا على الإسلام وخرجوا من قراهم إلى مدن العراق، ولكنَّ الحجاج ختم أسماء قراهم على أيديهم وأعادهم بالقوة، ووضع عبد الملك ضرائب استثنائية على أهل الذمة، وجعل الجزية في الجزيرة هي الزائد عن دخل أهل الذمة. حاول أهل الذمة الفرار من الجزية فترهبنوا لعلمهم بإعفاء الرهبان، ولكن الحجَّاج فرض الجزية على

جميع الرهبان، كما كان يشتد على أهل الذمة إذا ما تأخروا في وضع الجزية، وقام الحجاج بإقصاء العمال الذميين من وظائف الدولة بالعراق .

ومن معالم التعامل مع أهل الذمة في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه أمر عماله بألاَّ يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صُولِح أهلُ الذمة عليه، كما نهى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عامله على الكوفة عن اتباع سياسة الحجاج التي تقضى بإرجاع أهل الذمة إلى قراهم. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة أيضًا أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة فيسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، ثم ختم رسالته بقوله: "قووا أهل الذمة؛ فإننا لا نريدهم لسنة أو سنتين". وكان عمر بن عبد العزيز يجعل صدقات بني تغلب القبيلة العربية المسيحية في فقرائهم دون ضمها إلى بيت المال .

فقد كان رضي الله عنه حريصا على تحقيق مبدأ الحرية التي قام عليها الحكم، وذلك ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لايتناقض معها، فأقر ما كان فيها موافقا، لتعاليم الإسلام، وأعاد مالم يكن كذلك.

فكان حريصا على تنفيذ قاعدة حرية الإعتقاد في المجتمع انطلاقا من قوله تعالى:(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة : ٢٥٦) ، وكانت سياسته حيال أهل الكتاب تلتزم بالوفاء بالعهود والمواثيق وإقامة العدل معهم، ورفع الظلم وعدم التضييق عليهم في معتققدهم، ودينهم، ولم يكره أحدا على الدجخول في الإسلام.

لقد تمتع أهل الذمة في الخلافة الأموية بنصيب كبير من الوظائف، حيث احتلوا مكانة بارزة من حياة الخلافة الأموية، وكثُر عددُهم في الدواوين والمصالح، وزاد عليه

المستشرق الروسي (بارتولد) في كتابه تاريخ الحضارة الاسلامية: بأن النصارى والفرس كانوا يقومون ببناء المساجد والقصور.[٦]

---

*أهل الذمة هو مصطلح فقهي إسلامي يقصد به كلا من النصارى واليهود أهل الكتاب وأصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي أو في البلاد ذات الأغلبية المسلمة.

ولكونهم تحت الحماية الإسلامية ومسئولية الدولة. ولا تقصر الشريعة الإسلامية تلك المسؤولية على الدولة فقط ولكن تصرفها أيضا على المواطن المسلم فلا يجوز للمسلم الإساءة للذمي تحت عذر أنه من غير المؤمنين بالقرآن أو برسول الإسلام محمد بن عبد الله وإنما أوضحت الشريعة أن مسألة الإيمان يحاسب عليها الله وحده يوم القيامة.

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية أن الذمة هي العهد الذي يعطى للقوم الذين يدخلون في الاسلام عند فتح المسلمين لبلادهم ولا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحريتهم ثم على أموالهم، ومن ثم يسمون أهل الذمة أو الذمة أو الذميين شريطة أن يبذلوا الجزية ويلتزموا أحكام الملة.

وأما أهل الكتاب فهو اللفظ أو الوصف الذي ذكره القرآن وجاء في السنة النبوية الشريفة دالا على اليهود والنصارى تمييزا لهم عن عبدة الأوثان .

موقف عمر بن عبد العزيز من ابن الجراح

حظيت الدولة الإسلامية في عهدها الزاهر بعُمرين، الأول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثاني عمر بن عبدالعزيز حفيده رضي الله عنه، الذي كان صورة في المماثلة لجده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في حرصه على المسلمين والاهتمام بهم، فقد حُمل إلى عمر بن عبدالعزيز خبر عدم تشجيع الجراح الناس على الدخول في الإسلام، وإن دخلوا في الإسلام فلا يسقط عنهم الجزية، ومن شارك منهم بالجهاد فلا يعطون الأرزاق. فكتب عمر إلى الجراح يقول: "انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية"، كما كتب إليه: "إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً، ولم يبعثه جابياً" .

وبعد هذا الكتاب دخل الكثير من الناس في الإسلام، وكاد ذلك يخل بميزانية الدولة، فأشار رجال الجراح عليه بإقامة السنة فيمن يدخلون الإسلام، وذلك بأن يأمرهم بالاختتان، وخاف الجراح أن يلومه عمر فكتب إليه يستأذنه، وقد استدعاه عمر بن عبدالعزيز فقدم الجراح إلى دمشق، تاركاً وراءه على قيادة الجيش(عبدالرحمن بن نعيم الغامدي)، وعلى جزيتها – أي ماليتها – عبيدالله بن حبيب .

وقبل السفر إلى دمشق صعد المنبر وخطب في الناس فقال" :يا أهل خراسان: جئتكم في ثيابي هذه التي علي، وعلى فرسي، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي " وكان معه فرسه وبغلة لتحمل له حوائجه، ولما عاد لم يكن معه نفقات السفر إلى دمشق، فاستدان من بيت مال المسلمين عشرة آلاف درهم وقال: هي عليّ سلف حتى أؤديها إلى الخليفة، ولما وصل إلى دمشق قال له الخليفة :متى خرجت؟ .

قال: لأيام بقين من رمضان، وعليّ دين فاقضه عني .

قال: لو أقمت حتى تفطر ثم خرجت؟ قضيت عنك، فجمع له قومه إعانة من أعطياتهم، فوفوا ما استدانه من بيت المال لسفره .

ذلك هو الجراح في ولايته على خراسان، الذي لم يكن يملك نفقات سفره عند عودته إلى دمشق، ولما وقعت كارثة آل المهلب بعصيانهم على الدولة، فقد أراد الخليفة مسلمة بن عبدالملك بيع أولاد المهلب، فتدخل الجراح فشفع فيهم لدى الخليفة فخلى سبيلهم .[٧]

موقف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من موت عبد الملك

كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خمسة عشر ولدا، فيهم ثلاث بنات، وكانوا جميعا على حظٍّ موفور من التقى، ومقام كبير من الصلاح، ولد عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ٨٢هـ .

وكما يقول الشاعر:

* الجرَّاح الحَكميّ: وهو أبو عقبة الجرَّاح بن عبد الله الحكميّ الوالي الأموي على سجستان، وهو تابعي عاصرالصحابة، ينسب إلى قبيلة بني الحَكَم اشهر وأعظم قبيلة قحطانية من (مَذْحِج)، وتعتبر قبيلة (حكم) من اقدم القبائل وأشجعها وأكرمها وأطهرها نسبا، وكانوا من آلاف السنين ذوي قوة وبأس، وأسسوا الكثير من الدول. وحارب وجاهد في نصرة الإسلام ونشره في بلاد ما وراء النهر، وفي حروبه على الخارجين على دولة الخلافة الإسلامية، وهو من دمشق من بلاد الشام، ولد ونشأ فيها، وولد مع نهاية العقد السادس الهجري من القرن الأول، فقد دل على ذلك مشاركته في نصرة كتائب الإسلام، وأشارت المصادر التي ترجمت له إلى ان أول ظهور عسكري له، إنما كان سنة ٨٢هـ، في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث، عندما خرج على الدولة الأمويةفي دمشق، وشوهد في معركة)دير الجماجم(، حيث قتل ابن الأشعث، وكان مشاركا الحجاج في قيادة الجيشالأموي، وبرز الجراح في هذه المعركة في سعيه لأطفاء نار الفتنة عن طريق الأتصال بمعارفه ممن هم بمعية ابن الأشعث، في مناصحته لهم بالأبتعاد عنه وقد نجح في ذلك، توفي ٣٠ من رمضان ١١٢هـ– ١٨ من ديسمبر ٧٣٠م .

وينشــأ ناشــئ الفتيــان منــا علـــى مـــا كـــان عـــوده أبـــوه

يعجز الوصف فيه، فهو فتى مكتهل كان قائدًا مع أبيه، فكان نعم العون ولمّا يتجاوز السادسة عشر من عمره .

روى أبو نعيم في الحلية عن بعض مشيخة أهل الشام قال: "كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك" .

وقال سيار بن الحكم خادم عمر: "قال ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له عبد الملك، وكان يفضل على أبيه: يا أبي أقم الحق ولو ساعة من نهار" .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "لولا أن يكون زُيّنَ لي من أمر عبد الملك ما يُزين في عين الوالد من ولده، لرأيت أنه أهل للخلافة". وهذا الكلام صادر من عمر، وكفى به مزكيًا، ولكن عمر يربأ بولده عن أن يكون وريثًا له في الإمارة، وإن كان لذلك أهلاً .

وروى الدورقي قال: "إن عمر قال لابنه عبد الملك يومًا: إني أخبرك خبرًا، والله ما رأيت فتى ماشيًا قط أنسك منك نسكًا، ولا أفقه فقهًا، ولا أقرأ منك، ولا أبعد من صبوة في صغر ولا كبر منك يا عبد الملك" .

لأجل هذا قال ابن رجب الحنبلي في مناقب عبد الملك: "فعسى الله أن يجعل في سماع أخباره لأحد من جنسه أسوة، ولعل أحدًا كريمًا من أبناء الدنيا تأخذه بذلك حمية على نفسه ونخوة؛ ففي ذكر أمثال أخبار هذا السيد الجليل مع سنه توبيخ لمن جاوز سنه وهو بطال، ولمن كان بعيدًا عن أسباب الدنيا هو إليها ميال" .

وقال ابن رجب: " لقد كان –رحمه الله– مع حداثة سنه مجتهدًا في العبادة، ومع قدرته على الدنيا وتمكنه منها راغبًا مؤثرًا للزهادة " .

لكنَّ عبد الملك كان واسطة العقد، وكوكبة أخوته، فقد كان أديبا، وكان أريبا ذكيا، له سنُّ الفتيان، وعقلُ الكهول، وأروع ما في الشاب عقلُه الكبير، وأروع ما في الشاب ورعُه، وأروع ما في الشاب معرفتُه، وأروع ما في الشاب أدبُه، وأروع ما في الشاب عفَّته، وأروع ما في الشاب توبتُه، وأروع ما في الشاب حبُّه لله عزوجل، وربُّنا عز وجل يعجب لهذا، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ) أخرجه أحمد في مسنده.

نشأ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله في طاعة الله عزَّ وجل منذ نعومة أظفاره، فكان أقربَ الناس سمتًا إلى آل الخَطَّاب عامة، وأشبههم بعبد الله بن عمر، خاصة في تقواه، وتخوُّفه من معاصيه، وتقرُّبه إليه بالطاعة . حدَّث ابنُ عمَّه عاصمٌ، فقال:

(وفدتُ على دمشق، فنزلتُ على ابن عمي عبد الملك، وهو عازِب، فصلينا العشاء، وأوى كلٌّ منا إلى فراشه، فقام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، وأسلم كلٌّ منا جفنيه إلى الكرى، ثم إني استيقظتُ في الليل، فإذا عبد الملك قائم يصلِّي في العتمة، وهو يقرأ قوله عز وجل:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) (الشعراء: ٢٠٥–٢٠٧) .

قال ابنُ عمه عاصم: فراعني منه أنه كان يردِّد الآيةَ، وينشج نشيجا مكبوتا، يقطِّع نِياطَ القلوب، - والحقيقة أنّ صلاة الليل صلاة الإخلاص، أنت قد تؤدِّي الفرائض خوفا من الله عزوجل، ولكنك لا تؤدِّي النوافل إلا حبًّا لله عزوجل، تماما كالذي يؤدِّي الضريبة خوفا من المضاعفة أو العقاب، لكن الذي يتبرَّع هذا دليل محبَّة، وتأدية الضريبة دليل خوف، لكن التبرُّع دليل محبَّة، فأداء الزكاة دليل خوف، وأداء الصدقة دليل محبة، وأداء الصلوات الخمس دليل خوف، وصلاة الليل دليل محبة .

قال: وكان كلما فرغ من الآية عاد إليها، حتى قلتُ: سيقتله البكاءُ، فلما رأيتُ ذلك، قلتُ: لا إله إلا الله، والحمد لله، كما يفعله المستيقظ من النوم، لأقطع عليه البكاءَ، فلما سمعني سكتَ، فلم أسمع له حسًّا) .

تتلمذ هذا الفتى العمري على أكابر علماء عصره، حتى تملَّى من كتاب الله، وتضلَّع بحديث رسول الله، وتفقَّه في الدين، فغدا على حداثة سنِّه، يزاحم الطبقةَ الأولى من فقهاء أهل الشام في زمانه .

فقد رُوي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جمع قرَّاءَ الشام وفقهاءها، وقال: جمع عمر بن عبدالعزيز قراء الشام وفقهاءها، وقال إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن ذلك أمر كان في غير ولايتك، ليس لك علاقة، قضية سابقة، وأن وزر هذه المظالم على من غصبها، والتفت إليه أحدهم ممن كان يرى غير رأيهم، وقال: يا أمير المؤمنين، ابعث إلى عبدالملك، فإنه ليس دون من دعوت علماً أو فقهاً أو عقلاً، فلما دخل عليه عبدالملك، قال له عمر: ما ترى في هذه الأموال التي أخذها بنو عمنا من الناس ظلما، وقد حضر أصحابها، وجعلوا يطلبونها، وقد عرفنا حقَّهم فيها؟ فقال عبدالملك لأبيه:

أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل، كنت شريكا للذين أخذوها ظلما، فانبسطت أسارير عمر، و ارتاحت نفسه، وزال عنه همه .

قال ميمون بن مهران: قال عبد الملك بن عمر لأبيه يومًا: يا أبي ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل؟ فوالله ما كنت أبالي لو غَلتْ بي وبك القدور في ذلك.

يعني: نعذب في سبيل إقامة الحق ولو وضعنا في القدور التي يغلي فيها الزيت الحار.

وقال عمر يومًا: والله لوددت أني عدلت يومًا واحدًا وأن الله توفى نفسي.. فقال عبد الملك: أنا والله لوددت أني عدلت فواق ناقة وأن الله توفى نفسي، فقال عمر: آلله؟ فقال عبد الملك: آلله، ولو غَلتْ بي وبك القدور، فقال عمر: جزاك الله خيرًا .

وقال لأبيه ذات يوم: ماذا أنت قائل لربك غدًا إن سألك وقد تركت حقًّا لم تحيه، وباطلاً لم تمته؟

وقد آثر عبدالملك المرابطة على الثغور، والإقامة في إحدى المدن القريبة منها على البقاء في بلاد الشام، فمضى إليها، وخلف وراءه دمشق ذات الأنهار السبعة، وكان أبوه على الرغم من كل ما عرفه من صلاحه وتقاه خائفا عليه من نزعات الشيطان، كثير الإشفاق عليه من نزوات الشباب، حريصاً على أن يعلم من أمره كل ما يجوز له أن يعلم، وكان لا يغفل عن ذلك أبدا، ولا يهمله .

وعن إبن أبي عبلة قال جلس عمر يوما للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل فقال للناس مكانكم حتى أنصرف إليكم ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا دخل فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال يا أمير المؤمنين ما

أدخلك قال أردت أن أستريح ساعة قال أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم فقام عمر فخرج إلى الناس .

وفي ذكر وفاة عبد الملك، قال عمر ذات يوم لعبد الملك ابنه: ما كنت أحب أن أراه فيك إلا قد رأيته إلا شيئًا واحدًا قال: ما هو؟ قال: موتك (أي يبتلى بفقده، فيكون في صحيفة حسناته) قال: أراكه الله، فأصابه الطاعون في خلافة أبيه، فمات قبل أبيه وعمره تسعة عشر عامًا، ووقف عمر على قبره وقال: رحمك الله يا بني، فلقد كنت برًّا بأبيك، وما زلت منذ وهبك الله لي مسرورًا، ولا والله ما كنت أشد سرورًا ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، وتجاوز عن سيئه، ورحم كل شافع يشفع لك من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمره والحمد لله رب العالمين. ثم انصرف والدمع يملأ عينيه، وكأن حاله يقول: أن العين لتدمع وأن القلب ليحزن، وأن على فراقك يا عبد الملك لمحزونون.

لقد تأثر عمر رضي الله عنه بموت ابنه إلا أن هذا الأمر لم يشغله عن شئون الرعية .

وروي أن عمر كتب في رثاء عبد الملك إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن في شأن ابنه عبد الملك حين توفي أما بعد فإن الله تبارك اسمه وتعالى ذكره كتب على خلقه حين خلقهم الموت وجعل مصيرهم إليه فقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ثم قال لنبيه عليه السلام} وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون {ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فالموت سبيل الناس في الدنيا لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيء فيها خلدا ولم يرض ما أعجب أهلها ثوابا لأهل طاعته ولم

يرض ببلائها نقمة لأهل معصيته فكل شيء منها أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئا متروك. لذلك خلقت حين خلقت وسكنت منذ سكنت ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملا، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى أهل طاعته ورضوانه من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدي بهداهم خالد في دار المقامة من فضله لا يمسه فيها نصب ولا يمسه فيها لغوب، ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم وغير منازلهم فقد قابل الشر الطويل وأقام على مالا قبل له به، أسأل الله برحمته أن يبقينا ما أبقانا في الدنيا مطيعين لأمره متبعين لكتابه، وجعلنا إذا خرجنا من الدنيا إلى نبينا ومن أمرنا أن نقتدي بهداه من المصطفين الأخيار وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء في الدنيا والسيئات يوم القيامة ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين كان عبدا من عباد الله أحسن الله إليه في نفسه وأحسن إلى أبيه فيه أعاشه الله ما أحب أن يعيشه ثم قبضه اليه حين أحب أن يقبضه وهو فيما علمت بالموت مغتبط يرجو فيه من الله رجاء حسنا فأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله فإن خلاف ذلك لا يصلح في بلائه عندي وإحسانه إلى ونعمته علي وقد قلت فيما كان من سبيله والحمد لله ما رجوت به ثواب الله وموعده الصادق من المغفرة إنا لله و إنا اليه راجعون ثم لم أجد والحمد لله بعده في نفسي إلا خيرا من رضى بقضاء الله واحتساب لما كان من المصيبة فحمدا لله على ما مضى وعلى ما بقي وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة أحببت أن أكتب إليك بذلك وأعلمك من قضاء الله فلا أعلم ما نيح عليه في شيء من قبلك ولا اجتمع على ذلك أحد من الناس ولا رخصت فيه لقريب من الناس ولا لبعيد واكفني ذلك بكفاية الله ولا ألومك فيه إن شاء الله والسلام عليك.

وعن الربيع بن سبرة قال: "لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبدالعزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة – دخلت على عمر فقلت: أعظم الله

أجرك يا أمير المؤمنين، والله ما رأيت مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولى قط. فطأطأ عمر رأسه. فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه، قال: ثم رفع عمر رأسه وقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولًا. فقال: لا والذي قضى عليهم بالموت ما أحب شيئًا من ذلك لم يكن" .

"وروي أن عمر بن عبد العزيز لما دفن ولده عبد الملك وعاد – مر بقوم يرمون، فلما رأوه أمسكوا، فقال: ارموا ووقف، فرمى أحد الراميين فأخرج، فقال له عمر: أخرجت فقصر، وقال لآخر: ارمِ، فرمى فقصر، فقال له عمر: قصرت؛ فبلغ. فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين، أتفرغ قلبك إلى ما تفرّغت له، وإنما نفضت يدك الآن من تراب قبر ابنك ولم تصل إلى منزلك؟ فقال له عمر: يا مسلمة، إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت المصيبة فالهَ عمّا نزل بك" .

"وروي أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه بعض الناس يعزيه بموت ابنه عبد الملك، فقال عمر لكاتبه: اكتب، ودقِّق القلم: أما بعد.. فإن هذا أمرٌ كُنّا وطّنا نفوسنا عليه، فإذا نزل بنا لم نكرهه والسلام" . وعن الضحاك بن عثمان قال: "لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سلقّت له مراكب سليمان، فقال:

ولولا التُقى ثم النُهى خشية الردى قضى ما قضى فيما قضى ثم لا يرى
لعاصيت في حب الصبا كل زاجر له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال: إن شاء الله، لا قوة إلا بالله، قدِّموا إليَّ بغلتي" .
لا تتعجب من فعل هؤلاء وصبرهم، فإنما الصبر من الأخلاق الحميدة وهي من صفات الرجال، محفورة أسماؤهم في سجلات، المعلم فيها محمد ﷺ، وإذا أردت أن تتشبه بهم، فالقى نظرة على سيرة نبينا محمد ﷺ. وأقرب شاهد على ذلك أنه لم يحد عن سبيل

الزهد في هذه الحياة قيد أنملة، فعيشه يوم كان يتعبد في غار حراء كعيشه يوم أظلت رايته البلاد العربية، وأطلت على ممالك قيصر من ناحية تبوك. وكذلك مضاؤه في سبيل الدعوة، فقد قام يدعو إلى الهدى ودين الحق، ويلقى من الطغاة والسفهاء أذى كثيرًا، فيضرب عنه صفحًا أو عفوًا، ويمضي في سبيله لا يأخذه يأس، ولا يقعد به ملل، ولا ثنيه جزع. وقد ظهر دين الله، وعلت كلمته بهذا العزم الذي تخمد النار ولا يخمد، وينام المشرفي ولا ينام .

قال ابن القيم: "فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلوّن الأحوال عليه، من سلم، وخوف، غنى، وفقر، وأمن، وإقامة في وطنه، وظعن عنه، وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول، والفعل، والسحر، والكذب، والافتراء عليه، والبهتان، وهو مع ذلك صابر على أمر الله، يدعو إلى الله. فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقامات" .مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٠١هـ ، وهو في التاسعة عشرة من عمره، في زهرة شبابه مات صافيًا لم يعرف آثام الحياة .

قال أبو الحسن المدائني رحمه الله: دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك في مرضه – رحمهما الله جميعاً– فقال: يا بني! كيف تجدك؟ قال: تجدني –أبتاه– في الموت. قال: يا بني! لأن تكون في ميزاني أحب إليَّ من أن أكون في ميزانك، فقال الابن: يا أبتِ! والله لأن يكون ما تحبُّه أحبُّ إليَّ من أن يكون ما أحبُّه، ثم مات رحمة الله .

ويروي الإمام أحمد في الزهد: عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر -رحمه الله - حين دفن عبد الملك ابنه قد استوى قائماً عند القبر، وأحاط به الناس، فقال: والله -يا بني- لقد كنت باراً بأبيك، والله ما زلت مسرورًا بك منذ وهبك الله لي إلى أن استودعتك الله في المنزل الذي صيَّرك الله إليه، فرحمك الله، وغفر ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافعٍ يشفع لك بخير شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمر الله، والحمد لله رب العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم انصرف ورجع إلى مجلسه. وكان قبل وفاة عبد الملك قد هلك أخوه سهل -وهو من أحب إخوته- وهلك مولاه مزاحم وهو عزيز عليه، كل ذلك في أوقات متتابعة، فلما استوى في مجلسه جاء الربيع بن سبرة -عليه رحمة الله- فقال: عظَّم الله أجرك يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحداً أصيب بأعظمَ من مصيبتك؛ ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط. فطأطأ رأسه عمر -رحمه الله- فقال أحد الحاضرين: لقد هيَّجت عليه، قال: ثم رفع رأسه، فقال: كيف قلت يا ربيع ؟ أعد. قال: فأعدت عليه، فقال: لا والذي قضى عليهم الموت ما أحب أن شيئًا كان من ذلك لم يكن .

و فيا أيها الكون منه استمع ويا أذن الدهر عنه افهمي

روى ابن أبي حاتم بسنده عن خالد بن يزيد عن عياض عن عقبة أنه مات له ابن يقال له: يحيى ؛ فلما نزل في قبره قال له رجل: والله! إن كان لسيد الجيش فاحتسبه، فقال والده: وما يمنعني أن أحتسبه وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

فلله.. ما أحسن فهمهم! ولله.. ما أحسن تعزيتهم لأنفسهم وثقتهم بما أعطى الله -عز وجل- من ثواب للصابرين!

الفصل السادس

آخر خطبة خطبها الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

" يا أيها الناس، انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم و الفصل بينكم وقد خاب و خسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات و الأرض ألا و اعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه و باع نافذاً بباق و قليلاً بكثير و خوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرثها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غادياً و رائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد فارق الأحبة و خلع الاسباب فسكن التراب وواجه الحساب فهو مرتهن بعمله، فقير الى ما قدم غنياً عمّا ترك فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه... وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله وأتوب إليه و ما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سداي و لحمتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة، و العيش لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه ولكنه مضى من الله كتاب ناطق و سنة عادلة يدل فيها على طاعته و ينهى عن معصيته ثم رفع طرف رداءه وبكى حتى شهق و أبكى الناس حوله، ثم نزل فكانت اياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله عليه" .

وفاته

قيل لعمر بن عبد العزيزرضي الله عنه، لو أتيت المدينة فإن مت دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، فقال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار أحب إلي من أن يعلم الله مني أني أراني لذلك الموضع أهلاً .

اختلفت الروايات عن سبب مرض عمر بن عبد العزيز وموته، إذ تذكر بعض الروايات أن سبب مرضه وموته هو «الخوف من الله تعالى والاهتمام بأمر الناس» كما روي عن زوجته فاطمة بنت عبد الملك، وكما ذكر ابن سعد في الطبقات عن ابن لهيعة.

إلا أنه قد ذكر سبب آخر لموته؛ وهو أنه سُقي السم، وذلك أن بني أمية قد تبرموا وضاقوا ذرعاً من سياسة عمر التي قامت على العدل وحرمتهم من ملذاتهم وتمتعهم بميزات لا ينالها غيرهم، بل جعل بني أمية مثل أقصى الناس في أطراف دولة الإسلام، ورد المظالم التي كانت في أيديهم، وحال بينهم وبين ما يشتهون، فكاد له بعض بني أمية بوضع السم في شرابه، فقد رُوي أنهم وعدوا غلام عمر بألف دينار وأن يُعتق إن هو نفذ الخطة، فكان الغلام يضطرب كلما همّ بذلك، ثم إنهم هددوا الغلام بالقتل إن هو لم يفعل، فلما كان مدفوعاً بين الترغيب والترهيب حمل السم فوق ظفره، ثم لما أراد تقديم الشراب لعمر قذف السم فيه ثم قدمه إلى عمر، فشربه ثم أحس به منذ أن وقع في بطنه.

وعن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: «ما يقول الناس فيّ؟»، قلت: «يقولون إنك مسحور»، قال: «ما أنا بمسحور»، ثم دعا غلاماً له فقال له: «ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟»، قال: «ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق»، قال: «هات الألف»، فجاء بها فألقاها عمر في بيت المال وقال: «اذهب حيث لا يراك

أحد» قال: اذهب فأنت حر لوجه الله، والله يحب المحسنين . وقيل أنه مات بسبب السل . والأشهر أنه مات مسموما .

وصية عمربن عبد العزيز رضي الله عنه لأولاده عند الموت

ما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليَ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته: قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (الأعراف: ١٩٦). وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله ادع لي بني، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم . وبكى .: يا بني إني قد تركت لكم خيراً كثيراً، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً يا بني إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلى أخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلي، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله .

وصيته لولي عهده يزيد بن عبد الملك

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك وهو في مرض الموت قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك،السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإني كتبت إليك وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وليت، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً، يقول تعالى فيما يقول: « فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ». فإن يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهول الطويل، وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته، وأن يَمُنّ علي برضوانه والجنة. وعليك بتقوى الله والرعيةَ الرعيةَ، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير .

وصية الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى من يغسله ويكفنه

عن رافع بن حفص المدني أن عمر قال لرجاء: إذا أنا مت وغسلتموني وكفنتموني وصليتم علي وأدخلتموني لحدي، فاجذب اللبنة من عند رأسي، فإن رأيت وجهي إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه، وإن رأيت قد زويت عنها، فاخرج إلى المسلمين ماداموا عند لحدي حتى يستوهبوني من ربي، قال : فلما وضع في لحده وقبل باللبن على وجهه جذبت اللبنة من عند رأسه فإذا وجهه إلى القبلة فحمدنا الله وأثنينا عليه .

كراهته تهوين الموت عليه:قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يرفع للمؤمن من الأجر . وفي رواية: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يكفر به عن المرء المؤمن .

فراق الأحبة

اشتد بعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المرض وأدخل عليه الأطباء، ووضعوا له العلاج المناسب والشفاء بيد بارئه سبحانه وبحمده، فقال: والله لو كان دوائي في أن أرفع يدي اليمنى إلى أذني ما فعلت، والله ما أنا بحريص على الدنيا فقد مللتها، لكني أسأل الله أن يُسَلِّم. وكانوا يسمعونه يردد ويقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص:٨٣) .

وأسلمَ الروح إلى باريها رضي الله عنه، وقال: " يا رب أنا الذي أمرتني فقصرت، ودعيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا أنت " .

وروى ابن سعد: أن مَسْلَمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه، فقال له: من تُوْصِي بأهلك؟ فقال: إذا نسيتُ الله، فذَكِّرْنِي، ثم عاد أيضًا، فقال: مَنْ تُوْصِي بأهلك؟ فقال: إن وَلِيي فيهم (اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (الأعراف: ١٩٦) .

قال المبرد في الكامل في اللغة والأدب :دخل مَسْلَمة بن عبد المَلِك على عمر بن عبد العزيز في مَرْضَته التي مات فيها، فقال: ألا تُوْصِي يا أمير المؤمنين؟ قال: فيم أُوْصِي؟ فوالله إنْ لي من مال، فقال: هذه مائة ألف، فمُر فيها بما أحببت، فقال: أَوَتَقْبَل؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أُخِذَت منه ظُلْمًا، فبكى مَسْلَمة، ثم قال: يرحمك الله، لقد أَلَنْتَ مِنَّا قُلوبًا قاسِيَة، وأَبْقَيْت لنا في الصَّالحين ذِكْرًا .

فلما حضرته الوفاة، ذهب بعض الأصحاب ليعودوه، وكان عمر قد ترك من الأولاد خمسة عشر ولدًا، فقالوا له وهو يعالجُ سكرات الموت: ماذا تركت لأولادك يا أمير المؤمنين؟ .

وإذا بأمير المؤمنين يجيب بكلمة واحدة: تركت لهم تقوى الله ! كيف يا أمير المؤمنين؟ ! فيقول أمير المؤمنين: إن كانوا صالحين، فالله يتولَّى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك، فلن أترك لهم شيئًا يستعينون به على معصية الله .

وإذ بعمر رضي الله عنه يصدر الأمر إلى زائريه بالانصراف فورًا؛ ليتركوه وحدَه على فراش الموت، وتدخل عليه فاطمة الوفيَّة، الأمينة، الزاهدة، بنت الخلافة، ولكنها رَمَتِ الدنيا كلَّها وراء ظهرها، تدخل عليه وهو في السكرات، فيقول لها: يا فاطمة، اخرجي الآن؛ فإنني أرى خَلْقًا يزاحمون عليَّ مكاني هذا، أرى خَلْقًا غريبًا ذوي أجنحة لم أرهم قبل الآن، اخرجي يا فاطمة، اخرجي يا فاطمة، آن للغريب أن يرى حماه، آنَ للغريب أن يرى رباه، آن للغريب أن يعودَ إلى دار البقاء، اخرجي يا فاطمة؛ إن هناك أجسامًا نورانيَّة ذوي أجنحة؛ مثني، وثُلاث، ورُباع، اخرجي يا فاطمة، فإن الرُّوح تُزَف؛ لأنها ستصل إلى خالقها الأعظم، ستكون في ضيافة الرحمن؛ (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر: ٢٧ – ٣٠).

قالت فاطمة: يا أمير المؤمنين لماذا تخرجني من الغرفة في هذة اللحظات؟ قال: اني أرى في الغرفة وجوها ليست بوجوه أنس ولا وجوه جان يحبون الذكر والطيب، فخرجت زوجته ولكنها أبت أن تترك هذه اللحظات التي يغادر فيها الإنسان العظيم الحاكم العادل، والحبيب الراحل، فوضعت أذنها على باب الغرفة تسمع عمر بن

عبدالعزيز رضي الله عنه، وكأنها تودع منه، يقول:مرحبا بأبي البشر آدم .أهلا بخليل الرحمن ابراهيم .

مرحبا بكليم الله موسى .أهلا روح الله عيسى .مرحبا سيدي رسول الله . ثم سكت لحظة وقال: مرحبا بملك الموت زائر أتى على موعد، وأنا أشهد أن لا اله الا الله و أشهد أن محمد رسول الله .وكان يرتِّل آيةً واحدة في كتاب الله، ختم بها سِجِلَّ حياته، هذه الآية هي قوله – تعالي :- (تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣) .

ثم هدأ الصوت فقال مسلمة بن عبد الملك (لفاطمة) قد قبض صاحبك فدخلوا فوجدوه قد قبض .

عن هشام بن حسان عن خالد الربعي قال إنا نجد في التوراة أن السماوات والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا وقال هشام لما جاء نعيه إلى الحسن قال مات خير الناس .

قال ابن الحكم رحمه الله:

(لما حضرت عمرَ الوفاةُ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، وقال: إنك يا أمير المؤمنين، قد فطمت أفواه أولادك عن هذا المال، فحبذا لو أوصيت بهم إليك، أو إلى من تفضله من أهل بيتك، فلما انتهى من كلامه، قال عمر : أجلسوني، فأجلسوه، فقال: قد سمعتُ مقالتك يا مسلمة، أمَا إنّ قولك: قد فطمت أفواه أولادي عن هذا المال، فإني واللهِ ما منعتهم حقاً هو لهم، ولم أكن لأعطيهم شيئاً ليس لهم، أما قولك: لو أوصيت بهم إلي، أو إلى من تفضله من أهل بيتك، فإنما وصيي وولي فيهم الله الذي نزل الكتاب بالحق، وهو يتولى الصالحين، واعلمْ يا مسلمة أن أبنائي أحدُ رجلين؛ إما رجل

صالح متقن فسيغنيه الله من فضله، ويجعل له من أمره مخرجا، وإما رجل طالح مكبٌّ على المعاصي، فلن أكون أول من يعينه بالمال على معصية الله تعالى، ثم قال: ادعوا لي بنيّ، فدعوهم وهم بعضة عشر ولداً، فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقلتُ – القائل مسلمة – في نفسي: فتية تركهم عالة لا شيء لهم، وهو خليفة، وبكى بكاءً صامتاً، ثم التفت إليهم، وقال:

أي بنيّ إني لقد تركت لكم خيراً كثيراً، فإنكم لا تمرون بأحد من المسلمين، أو أهل ذمتهم، إلا رأوا أن لكم عليهم حقاً، –هذه السمعة الطيبة، كيفما مشى ابن الرجل الصالح، يقال له : رحمة الله على والدك، هذه ثروة كبيرة جداً– قال: يا بنيّ، إن أمامكم خياراً بين أمرين، فإما أن تستغنوا، أي أن تصبحوا أغنياء، ويدخل أبوكم النار، وإمّا أن تفتقروا ويدخل الجنة، ولا أحسب إلا أنكم تؤثرون إنقاذ أبيكم من النار على الغنى، كذلك ربّاهم تربية عالية، ربّاهم على محبته، ومحبة الحق، ثم نظر إليهم في رفق، وقال :قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله، فالتفت إليه مسلمة، وقال: عندي يا أمير المؤمنين، ما هو خير من ذلك، فقال: وما هو؟ قال: لدي ثلاثمائة ألف دينار، وإني أهبها لك ففرّقها عليهم، أو تصدّق بها إذا شئت، فقال له عمر: أَوَ خير من ذلك يا مسلمة؟! قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: تردُّها لمن أخذتها منه، فإنها ليست لك بحق، فترقرقت عينا مسلمة، وقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فقد ألَنْتَ منا قلوباً قاسية وذكّرتها، وقد كانت ناسية، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا، ثم تتبع الناسُ أخبارَ أبناء عمر من بعده، فرأوا أنه ما احتاج أحد منهم ولا افتقر) وصدق الله العظيم إذ يقول:

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) (النساء: ٩) .

وتوفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة ١٠١هـ على أصح الروايات، واستمر معه المرض عشرين يوماً، وتوفي بدير سمعان من أرض معرة النعمان بالشام، بعد خلافة استمرت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وعلى أصح الروايات كان عمره لما توفي أربعين سنة . نقش على خاتمه: "عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله" .

ويقول ابن الجوزي: بلغني إن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر يعظه قال: مات عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وترك أحد عشر إبنا، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كفن منها بخمسة دنانير، واشتري له موضع قبره بدينارين، وقسم الباقي على بنيه، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهما، ويقارن عبدالرحمن بن القاسم فيقول: ولما مات هشام بن عبدالملك وخلف أحد عشر إبنا قسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف أي مليون ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبدالعزيز قد تصدق بمائة فرس في سبيل الله عز وجل ورأيت رجلا من ولد هشام يتصدق عليه .

تقول فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، جاءها الفقهاء يسألونها: أخبرينا كيف كان حال عمر بينكم ؟ قالت: أفعل (أي أخبركم) و لو كان حيا ما فعلت، والله ما كان بأكثركم صلاة ولا صياما، و لكني و الله ما رأيت عبدا قط كان أشد خوفا لله من عمر، والله إن كان ليكون بيني و بينه لحاف، فيخطر على قلبه الشئ من أمر الله، فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول: والله لتخرجن نفسه، فأطرح اللحاف عني و عنه رحمة له، و أنا أقول : يا ليتنا كان بيننا و بين هذه الإمارة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها !!

بكت فاطمة زوجه بعد وفاته حتى فقدت بصرها، ودخل عليها إخوتها قائلين: ما هذا يا فاطمة ؟ أجزعك على عمر ؟ فهو والله أحق مَنْ يُجْزَعُ على مثله، أم على شيء من الدنيا ؟ فأموالنا بين يديْك وما أخذت منها خير مما تركت.

قالت: والله لا هذا ولا ذاك. لكني رأيت من عمر ليلةً منظراً ما تذكرته إلا بكيت، رأيتُه ليلةً قائماً يُصَلِّي، ثم جلس يقرأ حتى أتى على قول الله: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) (القارعة: ٤-٥)، فصاح: وا سوء صباحاه! ثم وثب ثم سقط فجعل يَئِنُّ حتى ظننت أن نَفْسَه ستخرج، ثم هدأ ثم نادى: وا سوء صباحاه! ثم قام، وهو يقول: وَيْلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم سقط كأنه ميت حتى سمع الأذان فقام .

تقول: فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي فأسأل الله أن يؤمنه وأن يؤمننا: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) (القارعة: ٤-٥) .

خاف الله في الدنيا ونسأل الله أن يؤمنه في الآخرة .

يذكر أنه دخل عليه أحد العباد: وهو كعب القرظي؛ فجعل ينظر في وجهه فإذا به: وَجْهٌ شاحب، وبدنٌ ناحل، كأن جبال الدنيا قد سقطت عليه، فقال: يا عمر ! ما دهاك؟ ما أصابك؟ والله لقد رأيتك أجمل فتيان قريش، تلبس اللَّيِّن وتفترش الوثير، لَيِّنُ العيش، نضر البشرة، والله لو دخلت عليك – يا عمر– في غير هذا المكان ما عرفتك

فينهد عمر باكياً ويقول: أما إنك لو رأيتني بعد ثلاث ليال من دفني، وقد سقطت العينان، وانخسفت الوجنتان، وعاشت في الجوف الديدان، وتغير الخدان، لكنت لحالي من حالي أشد عجباً، وأعظم إنكاراً. فبكى كعب، وبكى الناس حتى ضج مجلسه بالبكاء. جعل الهم هماً واحداً، فرضي الله عنه ورحمه .

قال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن الدراوردي، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب، فقرأوها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار، فأدخلوها بين أكفانه، ودفنوها معه.

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده، عن عمير بن حبيب السلمي، قال: أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك، فأطلقني له، فأخذني إلى منزله، وإذا له ابنة مثل الشمس، فعرضها علي على أن يقاسمني نعمته وأدخل معه في دينه فأبيت، وخلت بي ابنته، فعرضت نفسها علي فامتنعت، فقالت: ما يمنعك من ذلك؟ فقلت: يمنعني ديني، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء. فقالت: تريد الذهاب إلى بلادك؟ قلت: نعم، فقالت: سر على هذا النجم بالليل واكمن بالنهار، فإنه يلقيك إلى بلادك، قال: فسرت كذلك، قال: فبينا أنا في اليوم الرابع مكمن إذا بخيلٍ مقبلةٍ، فخشيت أن تكون في طلبي، فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب، فقالوا: عمير؟ فقلت: عمير. فقلت لهم: أوليس قد قتلتم، قالوا: بلى، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز، قال: ثم قال لي بعضهم: ناولني يدك يا عمير، فأردفني فسرنا يسيرا ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة، من غير أن يكون لحقني شر .

وقال رجاء بن حيوة: كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد أوصى إلي أن أغسله وأكفنه، فإذا حللت عقدة الكفن أن أنظر في وجهه فأدلي، ففعلت فإذا وجهه مثل القراطيس بياضا، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحل عن وجوههم فإذا هي مسودة .

واختلفت الروايات على مقدار تركة عمر بن عبد العزيز حين توفي، ولكن الروايات متفقة على قلة التركة أو انعدامها، قال ابن الجوزي :بلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «عظني»، قال: « مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وخلف أحد عشر ابناً، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً كفن منها بخمسة دنانير، وثمن موضع قبره ديناران، وقسم الباقي على بنيه، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهماً. ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابناً، فقسمت تركته، وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حَمَلَ في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله عز وجل، ورأيت رجلاً من ولد هشام يُتصدق عليه » .

وقد رئيت له منامات صالحة، وتأسف عليه الخاصة والعامة، لا سيما العلماء والزهاد والعباد، ورثاه الشعراء، فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير عزة يرثي عمر:

عمت صنائعه فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنة وزفير
يثني عليك لسان من لم توله ... خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

وقال فيه (جرير):

نعـى النعـاةُ أمـيرَ المـؤمنين لنـا يا خـير مـن حـج بيـت الله واعتمـرا
حملت أمراً جسيماً فاصطبرت له وقمـت فيـه بحـق اللهِ يا عمـرا
فالشـمسُ طالعـةٌ ليسـت بكاسـفةٍ تبكـي عليـك نجـوم الليـل والقمـرا

وقال أيضا:

لـو كنـت أملـك والأقـدار غالبـة تأتي رواحـا وتبيـانا وتبتكـر
رددت عن عمر الخيرات مصرعه بـدير سمعـان لكـن يغلـب القـدر

بينما رثاه الفرزدق بأبيات تطرب لها النفس فتتعرف على هذا الخليفة العادل، فيقول في أبيات:

كـم مـن شريعة عـدل قـد سننت لهم كانـت أميتـت وأخـرى منـك تنتظـرُ
يا لهـف نفسـي ولهـف اللاهفـين معـي علـى العـدول الـتي تغتالهـا الحفـرُ

وفي رثائه للخليفة "عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه" يقول الشاعر الشريف الرضي :

" يا بـن عبـد العزيـز لـو بكـت العـين
فـتى مـن بـني أميـة لبكيتـك
ولـو أني رأيـت قـبرك لاسـتحييت
مـن أن أرى ولا حيّيتـك
ديـر سمعـان لا عـددتك العـوادي
خـير ميـت مـن آل مـروان ميتـك ".

وودع عمر رضي الله عنه الأمة الإسلامية، ودعها بعد أن أشبعَ الجائعين، وأمَّن الخائفين، ونصر المستضعفين، ودع عمر الأمة بعد أن وجد فيه اليتامى أبًا، والأيامى كافلاً، والتائهون دليلاً، والحائرون هاديا ومعينا .

ذهب عمر وقد حقق للأمة العدل والأمن والأمان، والإيمان، والسكينة والاطمئنان، والاستقرار، حقق ذلك كله ليس في عشرين أو ستين سنة، ولا عشر سنين، ولكن في سنتين، وخمسة أشهر وبضعة أيام .

ودع عمر وترك لنا إرثا ثقيلا على الحكام والمحكومين من بعده؛ فهل يعي كل راع أقوال وأفعال عمر وكيف تصرف في كل مسألة وكيف صان للأمة عزها ومجدها وأمن حدودها.. نحن في حاجة لخليفة مثل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

تميزت خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعدد من المميزات، منها: العدل والمساواة، ورد المظالم التي كان أسلافه من بني أمية قد ارتكبوها، وعزل جميع الولاة الظالمين ومعاقبتهم، كما أعاد العمل بالشورى، ولذلك عده كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشدين، كما اهتم بالعلوم الشرعية، وأمر بتدوين الحديث النبوي الشريف . استمرت خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى قتل مسموماً سنة١٠١هـ، فتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة من بعده .

ضريح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ضريح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في معرة النعمان.. تعد بساطة معمارية في الأضرحة الإسلامية، و ظاهرة معمارية مميزة انتشرت في مدن بلاد الشام، كما في كل المدن العربية والإسلامية الأخرى خلال مختلف مراحل التاريخ الإسلامي.

ومن هذه الأضرحة المشهورة في بلاد الشام ضريح الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان مقصدا للزوار من كل بقاع العالم.

يقع هذا الضريح في قرية دير سمعان أو "دير النقيرة" كما يعرفها العامة التي تبعد حوالي ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من بلدة معرة النعمان في الشمال السوري التابعة لمحافظة إدلب في سوريا، من المعروف أن قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو القبر الوحيد الذي لم يُنبَش من بين قبور بني أمية.. وقد ورد ذكر هذا الضريح لدى عدد كبير من المؤرخين والرحالة على مختلف ميولهم ومذاهبهم السياسية والدينية ومنهم "ياقوت الحموي" الذي ذكر أن (دير سمعان قرب المعرة من أعمال حلب وفيها قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه)، كما ذكره الذهبي:

" أن وفاة عمر بن عبد العزيز في دير سمعان قرب المعرة من أعمال المعرة " وأيّده في ذلك الكثير من أهل السير والتاريخ ما ورد أن (دير سمعان) من قرى المعرة تعرف بدير النقيرة وفيها قبر عمر بن عبد العزيز وبجانبه قبر الشيخ (أبي زكريا يحيى بن منصور)، وكان متعبداً هناك ودفن سنة ٦٠٠ للهجرة. وما ذكره ابن بطوطة في رحلته سنة ٧٢٧ هجرية المعرة وقبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ضاحيتها، وفي كتاب مخطوط بالسريانية لراهب كان في دير النقيرة محفوظ في إحدى خزائن المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ١٤٦٢٩، وتاريخه ٧٢٠ هـ ذكر وفاة الخليفة ابن عبد العزيز

ودفنه في دير النقيرة وأن الخليفة عمر قد جعل من الملك العضود الأموي خلافة أوابة عادلة بآرة تمثل كل فضائل عصر النبوة، إنه الرجل الذي حاول نقل عصر النبوة بمثله وفضائله إلى دنيا هائجة مائجة مفتونة مضطربة بالظلم والقهر، وثمة إشارة إلى مكان الضريح في سجلات محكمة حماة الشرعية .

يشبه الضريح الذي يضم رفات الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه التكيةَ التي يكثر وجودها في بلاد الشام، وقد أحيطت بالأروقة الحجرية، وفي وسطها انتصب قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مجلّلا بغطاء أخضر على عادة تغطية الأضرحة الإسلامية في بعض البلدان وإلى جانبه قبران، وأمام هذه المشهد شديد البساطة يقف الزائر حائراً يتلمس الذكريات التي تنقله إلى الجو الذي عاش في ظلاله الخليفة الأموى العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فلا يعثر على شيء، نعم لا شيء من جلال الذكرى، ولا شيء يمثل حياة واحد من كبار رجالات الإسلام سوى قبة كبيرة مزدانة بقمريات غاية في التقشف مرصوفة من الداخل بالقرميد الأحمر الداكن.

و مكان الضريح الحقيقي أصبح اليوم وسط هذا الصراع الدموى التى تشهد الدولة السورية، كالأحجية بالنسبة للباحثين في هذا الشأن، أما بناء الضريح الأساسي عبارة عن بناء قديم يعود إلى العهد المملوكي، وقد ظل يعاني الإهمال حتى تسعينيات القرن الماضي عندما قامت وزارة الآثار والمتاحف (وبجهود من الباحثين وعلماء الآثار في سوريا) أعيد تأهيل البناء بالكامل وبناء قبة تكريمية فوق باحة الضريح، وإنشاء حديقة عامة حوله يؤمها الزوار والسياح من كل البلاد ليقفوا أمام ضريح هذا الخليفة الذي كان مضرب الأمثال في ورعه وتقواه وعدله .

موقع الضريح عبارة عن دير يعود إلى القرن الخامس الميلادي، حيث كان يسكنه الراهب سمعان وعندما أصبح الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والياً على خناصرة قرب حلب نشأت علاقة قوية بينه وبين الراهب سمعان حيث كان الخليفة عمر يكثر من زيارة هذه المنطقة حيث أراضي أمه وأخواله، وحين أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين استمرت هذه العلاقة، وتطورت هذه العلاقة حتى اشترى من الراهب سمعان مكانا في الدير لكي يدفن فيه، وقد أصر أن يدفع ثمنه للراهب الذي أراد أن يعطيه إياه هدية حباً بجواره، ولما توفي في رجب سنة ١٠١ هجرية، دفن في هذا القبر ثم دفنت معه زوجته فاطمة بنت عبد الملك، وقد زاره العديد من السلاطين الأيوبيين والمماليك ومنهم السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤ هـ .

قام الباحث السوري كامل شحادة بإجراء دراسة لتحديد موقع الضريح بدقة، واستطاع من خلال هذه الدراسة إثبات المكان الدقيق للضريح في قرية دير شرقي (الواقعة شرق مدينة معرة النعمان) ومن ثم العثور على قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وبعد تحديد الموقع استطاع الباحث كامل شحادة الحصول على موافقة وميزانية من وزارة الآثار والمتاحف لترميم الضريح وبناء قبة فوقه حتى أصبح بحالة جيدة، قبل وقوع الأحداث الدموية التي تمر بها الجمهورية العربية السورية من ٢٠١١ م وحتى الآن .

ومن مأثور قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: تاقت نفسي للإمارة، فلما بلغتها تاقت نفسي للخلافة، فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة .

عن عمرو بن مهاجر قال: قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يدك في تلبابي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر ما تصنع .

قال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز، وقال لي: إن جاءك كتابي بغير الحق فاضرب به الحائط .

قال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما رأيت يقينًا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدون له .

قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم .

عن سعيد بن سويد من حرس عمر بن عبد العزيز قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله عز و جل قد أعطاك فلو لبست وصنعت، فنكس مليا حتى عرفنا أن ذلك قد ساءه ثم رفع رأسه إليه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة .

عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : ما قلب عمر بن عبد العزيز بصره على نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال اللهم أني أعوذ بك أن أبدل نعمك كفرا أو أكفرها بعد معرفتها أو أنساها فلا أثنى بها .

عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال: قال لي أبي: يا بني إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير.

وقال: " إنَّ الليل والنهار يعملان فيك، فاعْمَلْ فيهما" .

وقال: " أيُّها الناس، أصلحوا سرائركم تَصْلُح علانيتُكُم، واعملوا لآخرتكم تكفوا دُنياكم ".

وقال: " قيّدُوا النِّعَمَ بالشُّكر، وقيّدوا العلم بالكتابة ".

وقال: " تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور".

وقال: " ملاقاةُ الرجال تلقيح للألباب ".

وقال: " ليس الأحمقُ من بَاع آخرتَه بدنياه، الأحمقُ من بَاع آخرتَه بدنيا غيره".

ومن شعره :

من كان حين تصيب الشمس جبهته	أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته	فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في قعر مظلمة غبراء موحشة	يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به	يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

قال سعيد ين أبي عروبة كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ومما روي له:

ولا خير في عيش امرىء لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيب
فإن تعجب الدنيا أناسا فإنها ... متاع قليل والزوال قريب

ومما روي له أيضا:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت ... مدامع عينيك الدموع السواجم
تسر بما يبلى وتفرح بالمنى ... كما اغتر باللذات في اليوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وعن وهيب بن الورد قال كان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بهذه

يرى مستكينا وهو للهو ماقت ... به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كله ... وما عالم شيئا كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبقى من العيش آجلا ... فأشغله عن عاجل العيش آجله

قالوا عنه:

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شخصية عظيمة، تعد من الشخصيات الإسلامية التاريخية التي نالت حظها من حب الله وحب الناس جميعا وما ذلك إلا لما تميزت به هذه الشخصية من صفات نادرة صارت مضرب المثل، ومن أهم هذه الصفات هو العدل الذي ملأ به الأرض، ورد المظالم إلى أهلها حتى أنهم ليقولون: إن

الشياه والذئاب والوحوش كانت ترعى في مكان واحد فلا تعتدي الوحوش على الشياه ولا تقربها .

قال مالك بن دينار رحمه الله: لما وليّ عمر، قالت رعاة الشاة في ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: انا اذا قام على الناس خليفة صالح، كفت الذئاب والأسد عن شياتنا .

وقال حسن القصار رحمه الله: كنت أحلب الغنم في خلافة عمر، فمررت براع وفي غنمه نحوا من ثلاثين ذئبا حسبتهم كلابا ولم أكن رأيت الذئاب من قبل، فقلت يا راعي! ما ترجو بكل هذه الكلاب؟ فقال: يا بني! انها ليست كلابا، انما هي ذئاب، يا بني! اذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس . إن الرعاة لم يعلموا بموت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلا بعدما رأوا اعتداء وتعرض الذئاب على غنمهم .

وقال موسى بن أعين : كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاة والذئب ترعى في مكان واحد فبينا نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب للشاة .

ذكرت كتب السير: كل من الإمامين مالك وسفيان بن عيينة قد أطلق عليه وصف إمام، وقال فيه مجاهد: «أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلَّمنا منه»، وقال ميمون بن مهران: «كان عمر بن عبد العزيز معلمَّ العلماء»، وقال فيه الذهبي: «كان إماماً فقيهاً مجتهداً، عارفاً بالسنن، كبير الشأن، حافظاً، قانتاً لله أوَّاهاً منيباً، يعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري، وفي العلم مع الزهري» ، وقد احتج الفقهاء والعلماء بقوله وفعله .

يرى المتتبع لأقوال العلماء والمؤرخين إجماعاً تاماً على عدّ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المجدد الأول في الإسلام، وكان أول من أطلق عليه ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري، ثم تبعه على ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: « يروى في الحديث: إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة أمر دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز » .

ويقول ابن حجر العسقلاني: « إن إجماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي، وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل » .

وقال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم) .

وقال حرملة :سمعت الشافعي يقول: الخلفاء خمسة (أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز) .

وقال ابن وهب: حدثني الليث، عن أبي النضر المديني، قال: رأيت سليمان بن يسار خارجا من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم ! قلت: تعلمونه؟ قال: نعم، فقلت: هو والله أعلمكم .

وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه .

وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة، وفي رواية قال ميمون: كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

وقال الليث: حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة، قال: ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

وقال علي بن زيد: ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز .

وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال: هو نجيب بني أمية وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وقال الذهبي عنه: "كان ناطقا بالحق مع قلة المعين عليه وكثرة الأمراء الظلمة الذين كرهوا محاققته وأخذه كثيرا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق".

ومع ذلك نحسبه صدق الله في إصلاحه فعلم الله منه صدق النية فأعانه بعونه وتوفيقه وليست الأفعال كالدعاوى! وقد أثمر هذا العمل بركة وسعة للمسلمين وقد كان الرجل يطوف بزكاته مما فرضه الله عليه في سكك الخلافة مترامية الأطراف من سفوح جبال في إسبانيا غربًا إلى كاشغر الصين شرقًا ومن سيبيريا من أرض الترك شمالاً إلى عدن في اليمن جنوباً فما يجد من يقبل الزكاة منه!

قال عمر بن أسيد: " والله ما مات عمر بن عبدالعزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون، فما يبرح حتى يرجع بماله كله؛ قد أغنى عمر الناس" .

وقال الذهبي عنه أيضا: "كان إمامًا فقيهًا مجتهدًا عارفاً بالسنن حافظًا قانتًا لله أواهاً منيبًا يعد في حسن السيرة والقيام مع جده لأمه عمر بن الخطاب" .

وقال الحافظ السيوطي في أرجوزته المسماة تحفة المهتدين بأخبار المجددين على أن عمر من كبار المجددين وأولهم بعد عصر الخلافة الراشدة، فقال:

منا عليها عالما يجدد	دين الهدى لأنه مجدد
فكان عند المائة الأولى عمر	خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانية	لما له من العلوم السارية

وقد عدَّ كثير من العلماء عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه من مجددي هذا الدين .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد سياق الخلاف في المجدّد: وهل هو فرد أم جماعة؟:

(ولكنّ الذي يتعين فيمن تأخر الحملُ على أكثر من الواحد؛ لأن في الحديث إشارة إلى أن المجدّد المذكور يكون تجديده عاماً في جميع أهل ذلك العصر، وهذا ممكنٌ في حقّ عمر بن عبد العزيز جداً، ثم في حق الشافعي. أما من جاء بعد ذلك، فلا يعدم من يشاركه في ذلك).

وقال أيضًا : (لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدٌ فقط؛ بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجهٌ؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوعٍ من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدَّعي ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها؛ ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه .

وأما من جاء بعده؛ فالشافعي – وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة– إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد، والحكم بالعدل . فلعل هذا كل من كان متصفاً بشيءٍ من ذلك عند رأس المائة هو المراد؛ سواء تعدَّد أم لا) .

قال ابن كثير رحمه الله:

فقال جماعة من أهل العلم ، منهم أحمد بن حنبل – فيما ذكره ابن الجوزي وغيره – : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى مَن دخل في ذلك، وأحق؛ لإمامته، وعموم ولايته، وقيامه، واجتهاده في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما تشبَّه به .

ورحم الله الإمام الذهبي إذ يقول عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: "وأجد قلبي منشرحًا للشهادة لعمر بن عبدالعزيز أنه من أهل الجنة".

خاتمه

إن التاريخ الإسلامي لا يُدرس لمجرد أنه قصص وأسمار وأحداث تاريخية عابرة أو للتسلية والتسري. بل يدرس لتؤخذ منه العبر، فيستفيد منه من يلي أمر المسلمين في معرفة كيفية تطبيق الإسلام والحكم في بلاد المسلمين، وكيفية إنزال الأحكام على الوقائع. فيستفيد من خبرات السابقين وحُسِن تطبيقهم للإسلام، فهم أصحاب عقول خلاقة وقدرات مبدعة، كما يستطيع أن يتجاوز أخطاءهم التي وقعت منهم، والأخطار التي واجهتهم، فيتعرف كيف تعاملوا مع تلك الأخطاء وتجاوزوها، وكيف واجهوا تلك الأخطار وتحدوها. خاصة وأنه لا توجد أمة تمتلك من الإرث التاريخي والحضاري ما تمتلكه الأمة الإسلامية .

إعلم أيها القارئ أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ليس بنبي ولا بصحابي، وحكم لمدة سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ملأ المعمورة فيها خيراً وعدلاً وبركة، واستقرارا، ووحد الأمة؛ فحقق الإصلاح وقضى على الفساد، ووضع حدًا لسفك الدماء، وخراب الديار، وتفرق الجماعات، ووفر الأمن والاستقرار والعدل بين الناس، وقضى على الفقر، وحقق التنمية، وأحيا السنة بين الناس وقمع البدعة وخلص منها العباد .

وإذا كان الرجل يكون فقيرًا قبل رئاسة الدولة ثم يصبح ثريًا بعدها، فإن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، على العكس من ذلك تمامًا، كان ثريًا قبل الرئاسة ثم أصبح فقيرًا بعدها ! .

إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد قام بأمر عظيم في نفسه وهو شعوره بالمسؤولية في ثقلها تجاه المسلمين، فإنه لما ولي قال: إني أعلاج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد شب عليه الصغير، وهرم عليه الكبير، وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبه الناس ديناً. عندما يستشعر الإنسان حجم المسؤولية فإنه يبذل لها.

ومن أسباب نجاح ذلك الرجل في قيامه بذلك الأمر أنه بدأ بنفسه فجردها من كل هوى وما ليس بحق لها، ثم ببيته، ثم بأهله من بني أمية، فرد الأموال العظيمة إلى بيت المال، فنظرت إليه الرعية، فوجدوه قدوة يلبس مما يلبسون، ويأكل مما يأكلون، بل إنه كان حقيقة أقل من رعيته، إنه كان أقل من رعيته، فإنه حرم نفسه من أمور كثيرة لما فيها من الشبهة عنده؛ ولأنه لا يرى لنفسه حقاً فيها.

لقد أعادعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الثقة للأمة بأنها تستطيع أن تعود لمنبعها الصافي متى أرادت ذلك، فرغم الفوضى و الفساد والأخطار التي كانت تهدد بلاد المسلمين من كل مكان – وما أشبه الليلة بالبارحة – إلا أنه رضي الله عنه استطاع في قرابة ثلاثين شهرا أن يغير حال هذه الأمة وبلغت به المجد.. وأن بريق الأمل وشعاعه أقوى من كل تلك الأخطار والمؤامرات.. وإننا نعلم أن لله جنوداً يزودون عن هذا الحصن المنيع وينصرونه ويخلصون الناس من ربق العبودية إلى سعة الدنيا والآخرة، وكان لهذه الأمة أمثال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خرج ناصرا لهذا الأمر والدين العظيم الذي أكرم الله به الإنسانية.

وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه أبو أمامة الباهلي عنه قال:

(لَتُنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولها انقضاء الحكم وآخرهن الصلاة)، والحديث الثاني رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ قال: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء

أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه إذا شاء الله أن يرفعه ثم يكون ملكا جبريا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) .

ولله در القائل: " ملأ الأرض عدلاً بعد أن كادت تملأ جوراً، إيه يا عمر!

قد عشت عمرك زاهداً في كل ما جمع البشر

أتعبت من سيجيء بعدك في الخلافة يا عمر!

سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مثال راق من تاريخنا المجيد. كان شخصية قيادية جذابة، وتفانيه، و زهده، و تقواه، وخوفه، وورعه، يزرع في النفس السكينة، و يحسسنا بروعة هذا الدين و أهله، وكيف كان حاله بين الناس، من عدل وعدالة في التوزيع أغني الفقراء من العوز، ورحم العجائز والمرضي، وتكفل اليتامي ووضع الجزية عن أهل الذمة، لقد أعجز الخليفة الشاب الحكام من بعده وخاصة الظالمين منهم وكأنه يردد قول أبو العتاهية:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غداً عند الإله من الظلوم

أما والله إنَّ الظُّلم شؤمٌ ... وما زال المسيء هو الظَّلوم

إلى ديَّان يوم الدّين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصو

ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غداً عند الإله من الملوم

ورغم أن خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت شديدة القصر، لكن ما فيها من خير وما حدث خلالها من تقدم وازدهارلا يمكن اختصاره بدون إخلال.

هذا يعني أن الحكم الرشيد والقيادة الصالحة المترفعة عن الفساد وغير الساعية لمكاسب شخصية أو غيرها من المطامح الشهوانية؛ فهي لا تحتاج لخطط إقتصادية قصيرة الأجل أو طويلة الأجل واستراتيجية لعشرات أو مئات السنين من أجل تحقيق إنجازات وتغيير على الأرض، بل تحتاج لعزيمة الرجال وإيمان بالله ومنهج قويم يواجه به الصعاب.

إن خلافة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية على من لا يزال يردد الكلمات والأصوات القائلة: إن الدولة التي تقوم على الأحكام الإسلامية والشريعة عرضة للمشاكل والأزمات وعرضة للإنهيار في كل ساعة، وإنها ليست إلا حُلماً من الأحلام ولا يزال التاريخ يتحدى هؤلاء ويقول لهم: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (البقرة: ١١١) .

إن عمر بن عبد العزيز نموذج إصلاحي لمن يريد السير والإصلاح والتجديد والتنمية على منهاج النبوة وعهد الخلافة الراشدة، ولقد أخلص لله تعالى في مشروعه الإصلاحي فتولى الله توفيقه وأطلق ألسنة الناس بمدحه والثناء عليه، إن العصر الذي عاش فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبيل خلافته كان كما يصفه أحد الكتاب: " زمن قسوة من الأمراء "،كيف لا والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن ، وغيرهما بالحجاز وبمصر وبالمغرب، حتى قال عمر: " امتلأت الأرض والله جوراً ".

وكذلك فيه من الفساد أن راح كل قادر على النهب ينتهب ما تصل إليه يداه، وغابت الأخلاق فشاع الترف والانحلال، ووراء الفساد سار الخراب ، فأخذت الأزمات المالية بخناق الدولة في كل مناحي الحياة فيها، فلما ولي الخلافة ملء الأرض خيرا وعدلا .

وصدق القائل: " عمر بن عبد العزيز شخصية عربية إسلامية فذة، حيرت العقول بمسلكها ووافر علمها، وأذهلتها بروعة بساطتها، حتى وصف بأنه خامس الخلفاء الراشدين، ونجيبة بني مروان، ومعلم العلماء، وواحد أمته في الفضل. جمع زهداً وعفافاً وورعاً، وشغله آجل العيش عن عاجله. وكان إماماً حافظاً زاهداً عابداً، ثبتاً حجة خطيباً مفوهاً، ذا منهج رشيد، ورأي في المعضلات سديد.

وقد عدت أيام حكمه من أزهى أيام الدولة الأموية إصلاحاً، وعدلاً، وعلماً، وخيراً، واستقامةً وأمناً ".

لقد استطاع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يقود ثورة إجتماعية عملية متكاملة برد المظالم؛ فقد انتزع الأرض والمال والثروة من الذين حازوها وملكوها بدون وجه حق وردها إلى بيت مال المسلمين كي تعود مرة أخرى ملكا للأمة جمعاء؛ لتكون العدالة الإجتماعية التي ينشدها الشعوب كافة .

وأخيرا أختم .. ولا أبلغ من كلام الإمام أحمد بن حنبل حينما قال : "إذا رأيت الرجل يحب عمر ويذكر محاسنه وينشرها فأعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله " .

قال الإمام الحافظ النووي في رياض الصالحين في باب أمر ولاة الأمور بالرفق واللين، ورعاية مصالح من استرعاهم الله عليهم. قال في سياق الأحاديث ما نقله عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي ﷺ في بيتي هذا يقول: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه) .

وهذا دعاء من النبي ﷺ على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة؛ حتى الإنسان يتولى أمر بيته، وحتى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة، وحتى المدرس يتولى أمر الفصل، وحتى الإمام يتولى أمر المسجد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " متفق عليه .

هكذا كان عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل وكانت سيرته نموذجا يحتذي به، ونبراسا وهدي لمن خلفه من الولاة والحكام .

رحم الله عمر بن عبد العزيز ورضي عنه؛ كان طودًا من أطواد العلم، ونبراسًا لمن جاء بعده؛ فجزاه الله عن الأمة خير الجزاء !!

مصادر ومراجع

- القرآن الكريم
- الأعلام — خير الدين الزركلي
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب — ابن عبد البر
- الشرح والإبانة على أصول السنة و الديانة — ابن بطة العكبري
- الإصابة في تمييز الصحابة — ابن حجر العسقلاني
- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة — عبد الله عمر الدميجي
- الإمامة والسياسة — ابن قتيبة الدينوري
- الأموال — أبي عبيد القاسم بن سلام
- البداية والنهاية — ابن كثير
- التاريخ الإسلامى — محمود شاكر
- التجديد في الفكر الإسلامي — د.عدنان محمد أسامة
- التكافل الإجتماعي في الإسلام — محمد أبو زهرة
- الآثار الواردة في عمر بن عبد العزيز في العقيدة — حياة بن محمد بن جبريل
- الجامع لأحكام القرآن — القرطبي
- الجوانب التربوية في حياة عمر بن عبد العزيز(رسالة ماجستير) نعمة الله رحمة الله — نورستاني
- الجيش والسياسة في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي: ٤١هـ/٦٦١م - ٣٣٤هـ /٩٥٦م (دراسة تاريخية) — فاروق عمر فوزى
- الحركة العلمية في العصر الاموي في المشرق — عبدالرحمن أحمد حفظ الدين

الاسلامي (٤١- ٢٣٢هـ / ٦٦١- ٧٤٩) دراسة تاريخية (رسالة ماجستير)

- الحضارة العربية الإسلامية — د. شوقي أبو خليل
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية — الماوردي
- الحياة الإقتصادية والإجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي — عبدالله محمد السيف
- الخطط المقريزية (المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار) — تقى الدين المقريزى
- الخلافات السياسية بين الصحابة رضي الله عنهم — محمد بن المختار الشنقيطي
- الخلافة — رشيد رضا
- الخلفاء الراشدون القادة الأوفياء وأعظم الخلفاء — حسن أيوب
- الخليفة الراشد العادل عمر بن عبد العزيز — وهبة الزحيلي
- الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز — على محمد الصلابي
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب — أبي الفضل بن الشحنة
- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام — السيد محمد السيد عمر
- الدولة الأموية — محمد الخضري بك
- الرقة والبكاء — ابن أبي الدنيا
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية — ابن تيمية
- السياسة الاقتصادية والمالية — عمر بن عبد العزيز بشير كمال عابدين
- السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز — قطب إبراهيم محمد
- الآجري

• الشريعة	ابن قتيبة
• الشعر والشعراء	ابن القيم الجوزية
• الطرق الحكمية في السياسة الشرعية	ابن سعد
• الطبقات الكبرى	عبد الشافي محمد عبد اللطيف
• العالم الإسلامي في العصر الأموي	تقي الدين الفاسي
• العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين	ابن عبد ربه
• العقد الفريد	أبي بكر بن العربي
• العواصم من القواصم	ابن حزم الظاهري
• الفصلل في الملل و الأهواء والنحل	ابن الأثير
• الكامل في التاريخ	ابن يزيد المبرد
• الكامل في اللغة والأدب	تحقيق : محمد الدالي
	عمر بن محمد الخضر الملاء
• الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز	عبد المتعال الصعيدي
• المجددون في الإسلام	شهاب الدين محمد الأبشيهي
• المستطرف فى كل فن مستظرف	الإمام أحمد بن حنبل
• المسند	محمد محمد حسن شراب
• المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي	د. نظمي خليل أبو العطا
• المعجزة التربوية لعمر بن عبد العزيز	محمد بن عمر الواقدي
• المغازي	ابن الجوزي
• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	د. مانع بن حماد الجهني
• الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (النـدوة العالميـة للشـباب الإسـلامي)	

إشراف وتخطيط ومراجعة	
• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	ابن تغري بردي
• النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز	محمد بن مشبب بن سلمان القحطاني
• أثار عمر بن عبد العزيز الأدبية: تحقيق ودراسة	مفلح النمر الفايز
• أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية	د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان
• أحكام أهل الذمة	ابن القيم الجوزية
• إحياء علوم الدين	أبي حامد الغزالي
• تاج العروس من جواهر القاموس	الزبيدي
• تاريخ الإسلام	الإمام الذهبي
• تاريخ الشعوب الإسلامية	كارل بروكلمان
• تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)	ابن جرير الطبري
• تاريخ الحضارة الاسلامية	ف . بارتولد، ترجمة حمزة طاهر
• تاريخ الخلفاء	جلال الدين السيوطي
• تاريخ الخلفاء الراشدين	د . محمد بن ابراهيم ابا الخيل
• تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية	د محمد سهيل طقوش
• تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
• تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
• تاريخ مدينة دمشق	ابن عساكر
• تجربة المصالحة والإصلاح في الحكم الإسلامي –	د. علي عدلاوي

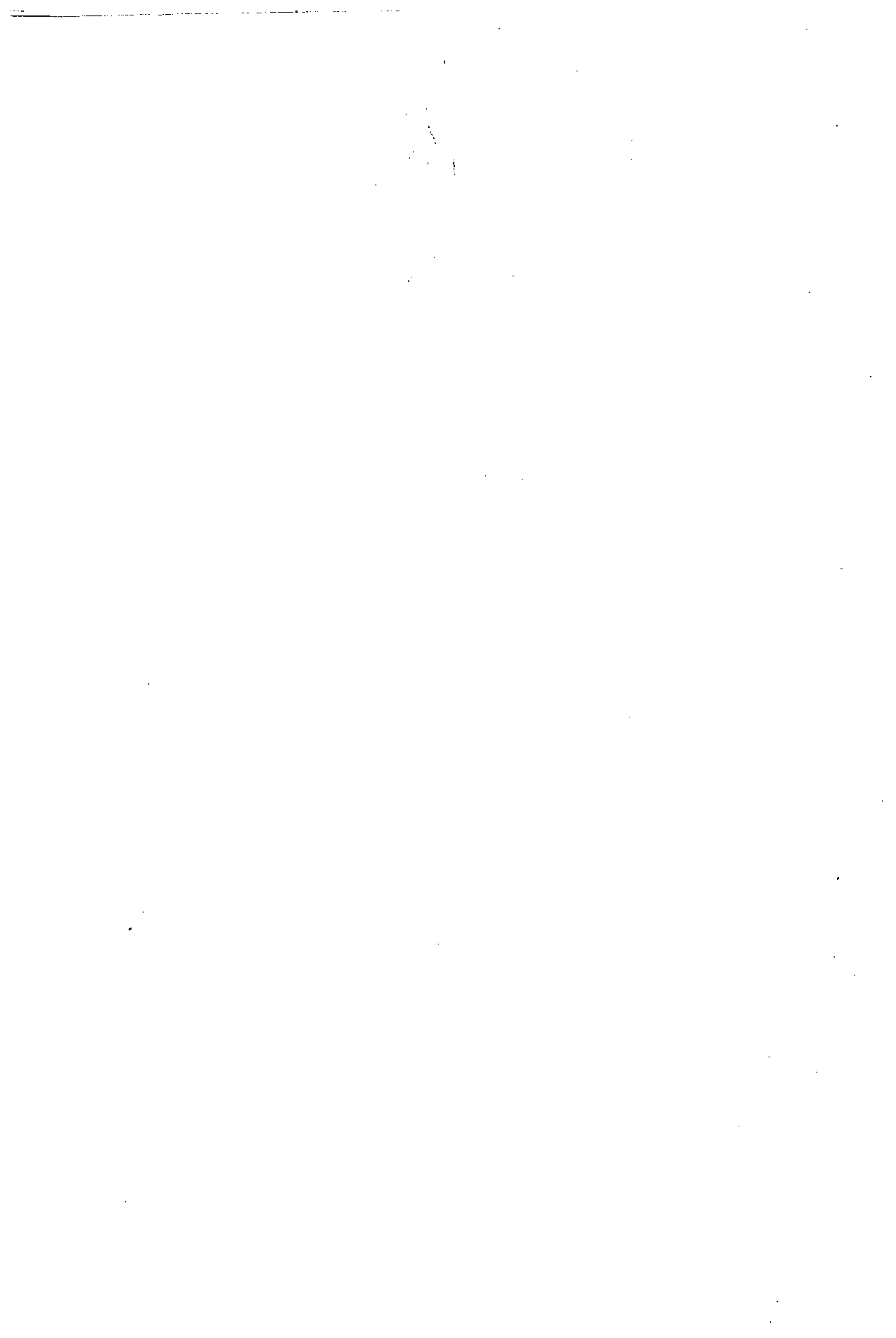
خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نموذجا

- تذكرة الحفاظ — الإمام الذهبي
- تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
- تهذيب التهذيب — ابن حجر العسقلاني
- دور القيادة في الإصلاح السياسي (دراسة العلاقة بين الفكر والممارسة – قيادة عمر بن عبد العزيز نموذجًا) (رسالة ماجستير) — اسراء عمران احمد عبد الكافي
- ديوان المعاني — أبي هلال العسكري
- جامع بيان العلم وفضله — ابن عبد البر
- الجوانب التربوية في حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (رسالة ماجستير) — نئ بن عمر نئ عبد العزيز
- حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية (رسالة دكتوراه) — ناصر بن محمد الأحمد
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة — السيوطى
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء — أبي نعيم الأصفهاني
- حضارة العرب — غوستاف لوبون
- خطوات في فقه التعايش والتجديد — هاني أحمد فقيه
- سراج الملوك — أبوبكر الطرطوشي
- سلوك المالك في تدبير الممالك — شهاب الدين بن أبي الربيع
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي — عبدالملك العاصمي
- سنن أبي داود — أبو داود السجستاني
- سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية وموقفه تجاه — عز الدين جسّوس

الكتاب	المؤلف
أهل الذمة	ابن عبد الحكم
• سيرة عمر بن عبد العزيز ومناقبه	ابن الجوزي
• سيرة عمر بن عبد العزيز	الإمام الذهبي
• سير أعلام النبلاء	ابن العماد الحنبلي
• شذرات الذهب في أخبار من ذهب	الإمام البخاري
• صحيح البخاري	الإمام مسلم
• صحيح مسلم	ابن الجوزي
• صفة الصفوة	عبد الستار الشيخ
• عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين	د. محمد عماره
• عمر بن عبد العزيز (ضمير الأمة وخامس الراشدين)	ناصر بن علي عائض حسن الشيخ
• عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم (رسالة دكتوراه)	ابن قتيبة
• عيون الأخبار	البلاذري
• فتوح البلدان	أحمد أمين
• فجر الإسلام	عبد السلام عيادة علي الكربولي
• فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية (رسالة دكتوارة)	د. محمد بن سعد بن شقير
• فقه عمر بن عبد العزيز	د. محمد بيومي
• في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين	محمد صدقي البورنو الغزي
• قدوة الحكام والمصلحين عمر بن عبد العزيز	ابن أيبك الدواداري
• كنز الدرر وجامع الغرر	علاء الدين علي المتقى الهندي

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال — ابن منظور
- لسان العرب — ابن القيم الجوزية
- مـدارج السـالكين بـين منـازل إياك نعبـد وإياك نستعين — أبي الحسن بن على المسعودي
- مروج الذهب ومعادن الجوهر — خالد محمد خالد
- معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز — ابن خلدون
- مقدمة ابن خلدون — محمد رواس قلعجي
- موسوعة فقه عمر بن عبد العزيز — تركي بن الحسن الدهماني
- نزهة الأديب والكاتب البليغ — الكندي
- ولاة مصر — ابن خلكان
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

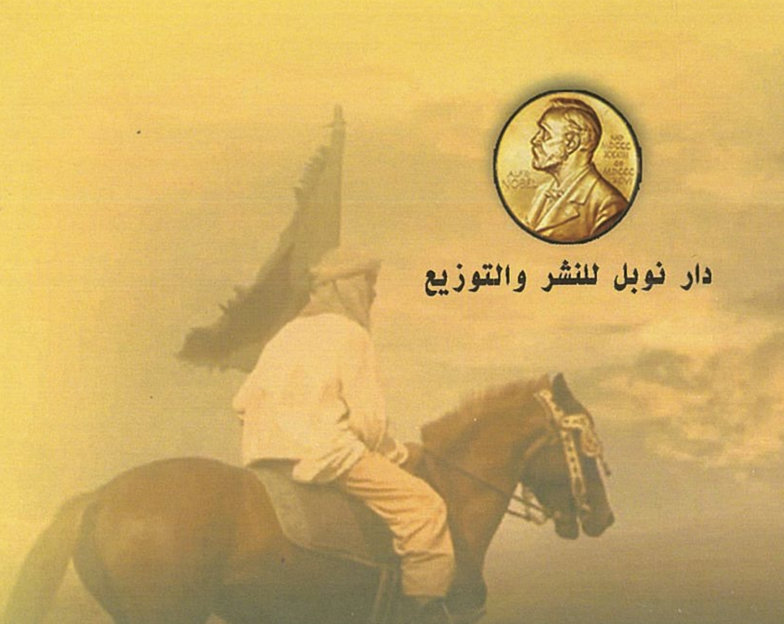
الفهرس



هذا الكتاب

جاء الخليفة العادل رضي الله عنه في ظل ظروف سياسية واقتصادية سيئة وفتن تضرب ربوع البلاد، ولم يكن لدى عمر بن عبدالعزيز عصا سحرية، وزعت الرخاء على الأمة، ولكنه استنهض الهمم بالأفعال قبل الأقوال، ولم يقف على متخاذل كسول ولا انصاع إلى رغبة طامع جهول، فنهضت الأمة بأسرها تسعى إلى رقيها، بصغيرها وكبيرها، برجالها ونسائها فكانت صحوة تسعى بكتلتها وبكامل حجمها حتى وصلت الأمة إلى الاستقرار والأمان.

خلال عامين وخمسة أشهر وأربعة أيام تقريباً استطاع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يسطر معجزة تربوية في تاريخ الإسلام؛ ففي هذه الفترة الوجيزة استطاع هذا الخليفة العادل أن يضع الأسس والأهداف لتربية المجتمع المسلم وفق المنهج النبوي الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، والذي يحرم فيه الغش، والكذب، والرشوة، والفساد على الرعية.



دار نوبل للنشر والتوزيع